بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية



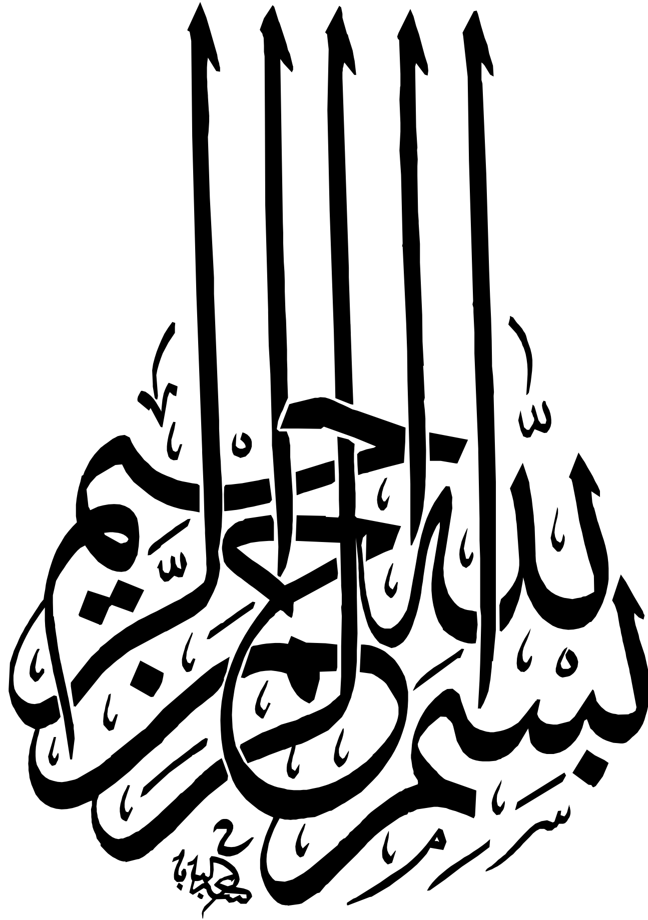
أبو إسحاق الإلبيري
حياته وشعره

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية (الأدب والنقد)

إعداد الطالب/
ميرغني الطاهر أحمد الفكي

إشراف الدكتور/
حسن أحمد الشيخ الفادني

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م



قال الله تعالى:

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

صدق الله العظيم.

(سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤-٢٢٧).

إهداء

إلى والديَّ وهذا بعض غرسهما وعند الله الجزاء الأوفى وإلى شقيقي الأصغر الذي كان كثيراً ما يؤثرني على نفسه .

شكر وتقدير

عرفاناً بالفضل أود أن أسدي شكري لجامعة أم درمـــان الإســـلامية، لإتاحتها لي فرصة الدراسة والتحضير، وأخص بالشكر أســـرة كليـــة اللغـــة العربية.

كما أتقدم بشكري العميق الذي أدين به لأستاذي الجليل الـــدكتور حسن أحمد الشيخ الفادني وذلك لما قدم لي من علمه ووقته وخبرته الكثير، وكان لدقته العلمية ولمنهجه الذي يفيض ثراءً وأياديه البيضاء الأثر العميق في إخـــراج هذا البحث.

وجزيل شكري لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية، ومكتبة جامعة القرآن الكريم، وأسرة مكتبة جامعة أفريقيا العالمية، لتعاونهم الصادق معي.

وشكري العميق لأساتذتي الأجلاء ومـــنهم أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة الموقرين آملاً الاستفادة من ملاحظاتهم القيمة وتقـــويمهم العلمـــي، والشـــكر موصول للدكتور مصطفى أحمد المصطفى والدكتور الطيب أحمد الفكي.

أخيراً أود من صميم وجداني أن يلقى هذا البحث الرضا والقبـــول وأن يكون مشعلاً على الطريق يزيح من حوله الضباب ويدفع للمزيد من الإقبـــال مما عجزت من الوصول إليه فإن وقع فيه نقص أو تقصير فهذا جهد المقـــل ووفقنا الله لما فيه الخير وهدانا لحسن القصد.

الباحث

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد:

في هذا البحث تحدثت عن فقيه الأندلس الزاهد العابد أبو إسحاق الإلبيري وجاء عنوان البحث بحياته وشعره. وكان منهجي في دراسته تاريخي وصفي، تحليلي، ويتكون البحث من ثلاثة فصول ففي الفصل الأول تحدثت عن حياته وعصره من الناحية السياسية والأدبية والاجتماعية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن أغراضه الشعرية من زهد ووعظ ورثاء ومدح وهجاء وحكمة.

وفي الثالث تحدثت عن الدراسة الفنية من بناء للقصيدة ولغة وأسلوب وتجارب نفسية باعثة على قرض الشعر عنده ثم الخيال والصورة الشعرية وأخيراً الموسيقى.

وأخيراً توصلت إلى هذه النتائج:

أولاً: تميز شعر الإلبيري بأنه إسلامي بعيداً عن القومية والقبلية.

ثانياً: تميز أسلوبه بالوضوح والسهولة والمباشرة متأثراً بالرسالة التي يحملها وهي الدعوة إلى الله والإرشاد وإصلاح المجتمع.

Abstract

This thesis is on jurist of Andalusia, the pious, Abu-Isahq Al-Ilbiri, where the title of the study comprises his life and poetry. The method applied in the study is the historical, descriptive and analytical one.

The study is made chapters:

Chapter I:

It is about the poet's life and time from the political, literary and social points.

Chapter II:

It is devoted to the poet's poetic purposes, such as the asceticism, admonition, lamentation, panegyric, satire and wisdom.

Chapter III:

It is made on the poem elements such as the language, method, style, psychological cases, imagination, poetic image and metrics.

Most Important Results:

١. *The Al-Ilbiri's style is considered Islamic more to be nationalistic or tribalistic.*

٢. *his poetic style is seemed to be simple, implicit, clear and direct, and much affected with thought and principles in life, which are the call for Allah's path (the Da'wa), and social reform.*

مُقَدِّمَة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

تبقى الأندلس في وجدان وقلب كل مسلم وعربي، فهي الماضي الذي نعتز به وهي الأمل والمستقبل الذي نتطلع ونتشوق إليه، وبين الماضي المشرق والأمل وجد جرح مازال ينزف دماً إلى يومنا هذا ونتطلع إلى من يضمد هذا الجرح ويخفف من آلامه وأوجاعه ويبعث فيه الحياة والأمل من جديد، فمصاب المسلمين بالأندلس من أكبر الكوارث والنكبات التي لحقت بالأمة الإسلامية.

فنحن بعقولنا إذا كنا نستطيع أن نتفهم بعض الوقائع التاريخية كالتسليم بحقيقة زوال حكم المسلمين عن الأندلس ولكن كيف بعقولنا أن تتفهم أن حضارة عريقة استمرت ثمانية قرون قد اجتثت ومن أصولها؟

يشكل الأدب الأندلسي جزءاً مهماً من الأدب العربي، ومن يتصفح دواوين ومراجع الأندلس يجد أن الأدب الأندلسي عامة والشعر خاصةً يشكل مساحة واسعة من الأدب العربي. لقد كان للعرب في الأندلس وجود عظيم أثرى المكتبة الأدبية في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا التراث يجب تطوره كغيره من الحقائق والوقائع التي يهتم بها الدارسون والباحثون، ففي الأندلس أرث حضاري ، ثقافي، فكري، أدبي، يستحق كل جهد يبذل في هذا الاتجاه:

موضوع البحث:

يركز موضوع البحث على دراسة الفقيه الزاهد والشاعر الواعظ أبي إسحاق الإلبيري ويكشف عن جوانب حياته المختلفة، ومكانته الأدبية والعلمية في القرن الخامس الهجري.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: عدم معرفة الكثير من الدارسين لأبي إسحاق الإلبيري.

ثانياً: الشاعر من أعظم المتأخرين الذين وقفوا ضد اليهود وحرضوا عليهم المجتمع حتى يلفظهم.

أهمية الموضوع:

يكتسب البحث أهمية من كونه من الدراسات التي تعرّف بشخصية في القرن الخامس اشتهرت بالزهد والتقوى ومناهضة اليهود ودعوة المسلمين إلى الجهاد والوقوف في وجههم.

منهج الدراسة:

اتبعت المنهج التاريخي، الوصفي، التحليلي.

مصادر الدراسة:

لقد تنوعت مصادر هذه الدراسة بين كتب الأدب، والتاريخ ، والتراجم، والدوريات، ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة:

القرآن الكريم، ونفح الطيب للمقري، والذخيرة لابن بسام هذا بالإضافة إلى الكتب التاريخية وأخص منها كتاب "دول الطوائف من قيامها إلى الفتح المرابطي" للأستاذ محمد عبد الله عنان، فهو من الكتب التاريخية الهامة التي توثق لعصر ملوك الطوائف.

المشاكل التي واجهت الباحث:

لعله من اللافت للنظر حقاً أن شاعراً مثل الإلبيري رغم علو كعبه في الشعر لم يجد من يخصه بدراسة مستقلة من الباحثين عدا الدكتور محمد رضوان الداية الذي حقق ديوانه.

أيضاً من الصعوبات التي واجهت الباحث أن شعر الإلبيري إن لم يكن كله فجُّله في الزهد ونادراً ما يتخطاه إلى غيره من الأغراض.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة والموضوع والخاتمة .

هيكل البحث:

يتكون البحث من فصول ومباحث:

الفصل الأول: حياته وعصره.

المبحث الأول: حياته.

المبحث الثاني: عصره وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية

المطلب الثاني: الحياة الأدبية

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية

الفصل الثاني: الأغراض الشعرية عند الإلبيري

المبحث الأول: الزهد

المبحث الثاني: الوعظ

المبحث الثالث: الرثاء

المبحث الرابع: أغراض مختلفة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المدح

المطلب الثاني: الهجاء

المطلب الثالث: الحكمة

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

المبحث الأول: بناء القصيدة

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب

المبحث الثالث: التجارب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند الإلبيري

المبحث الرابع: الخيال والصورة الشعرية

المبحث الخامس: موسيقى القصيدة

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الفهارس العامة: وتضمنت:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

عصره وحياته

المبحث الأول حياته

المبحث الثاني عصره

المبحث الأول
حياته

لكي نكوّن بطاقة تعريفية نستطيع بها التعرف على شخصيته لابد لنا من وقفة مع الأخبار والإشارات من خلال شعره والقليل الذي وصلنا من أخباره نستطيع أن نقف على صوره بينه له.

• ولادته:

لم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادته بالتدقيق ولكن يفترض لها صاحب موسوعة شعراء الأندلس أنها في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري من أسرة عربية تنتمي إلى قبيلة تجيب المشهورة وإن نسبة الألبيري تشير إلى أنه ولد في مدينة البيرة أما وفاته فكانت نهاية سنة ٤٥٩ – ١٠٦٧م(١).

• اسمه:

يرى أكثر من كتبوا عن الألبيري أن اسمه إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الزاهد من أهل غرناطة يعرف بالإلبيري ويكنى: أبا إسحاق(٢) وخالفهم في اسم جده خير الدين الزركلي(*) وقال ابن سعيد(٣).

---

(١) عبد الحكيم الوائلي/ موسوعة شعراء الأندلس/ دار أسامة للنشر والتوزيع/ الأردن – عمان/ ص ٢١.

(٢) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، ص ١٣٦.

(*) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، أديب، شاعر، مؤرخ، ولد ليلة ٩ ذي الحجة = ٢٥ يونيو. ومن آثاره ديوان شعره، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين في ٨ مجلدات، وتوفى بالقاهرة في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٧٦م، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت – شارع سوريا، ص ٦٩٣.

(٣) الأعلام، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ٧٣.

- **نسبه**:

وفي نسب أبي إسحاق الإلبيري أنه تجيبي من اليمن من"تجيب" وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أن ديـــار تجيـــب بالأنـــدلس فـــي سرقسطة ودروقه وقلعة أيوب. يعني: غالبيتهم ومعظم جماعتهم.

ووجدت في المنسوبين إلى إلبيره من هو من تجيب. فكأن جماعة قليلة من هذه القبيلة سكنت كورة إلبيره(١).

- **نشأته**:

ونستخرج من أخبار أبي إسحاق، وهي قليلة، أنه ولد في حصن العقاب، ونشأ فيها نشأته الأولى. ثم خرج إلى إلبيرة، وما ندري أخرج في طلب العلم في فتوته المبكرة ليكون في رعاية بعض أقاربه في إلبيرة أم كان خروجه مع أهله إليها في نقلة شاملة، لسبب من الأسباب.

في هذه الحاضرة استقر، واستزاد من علومه ولقي الشيوخ وروى عنهم وتبحر في العلوم الشرعية: واشتهر بالفقه والقراءات القرآنية.

وكانت نقلته إلى غرناطه فرصة أخرى للقاء العلماء، ولإتخاذ مكانه بين الفقهاء، وطلبة العلم(٢).

- **مشايخه**:

لقد غاب عنا أسماء شيوخه إلا من ورد عرضاً. ولكنه – لا شك – لقي من العلماء الكبار في عصر ناهض من الناحية العلمية والحضارية.

من أبرز الذين تتلمذ عليهم الألبيري ابن أبي زمنيين "٣٢٤ – ٣٩٩هـ – ٩٦٣ – ١٠٠٩م" وهو محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري،

---

(١) أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليـق: عبـد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م، ص ٤٣١.

(٢) أبي إسحاق الإلبيري، ديوانه، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

الألبيري، نزيل قرطبه، الأندلسي المالكي، المعروف بابن أبي زمنيين "أبو عبد الله" محدث، فقيه، أصولي، مفسر، صوفي، أديب، شاعر، توفى بألبيرة في ربيع الآخر. ومن تصانيفه مختصر المدونة، منتخب الأحكام، مختصر تفسير بن سلام، حياة القلوب في الزهد، وأصول السنة[1].

• معاصروه:

في تلك الفترة كانت الأندلس تعج بالعلماء والأدباء ولكننا سنذكر أشهر من عاصرهم شاعرنا على سبيل المثال لا الحصر.

- **ابن حزم (٣٨٤هـ -٤٥٦هـ):**

وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها، وانصرف إلى العلم والتأليف له: المورد الأصلي في اختصار المحلي له، عام مصورات ٣٠٧، ٣٠٨ "ص"[2].

- **ابن زيدون: "٣٩٤ – ٤٦٣هـ – ١٠٠٤ – ١٠٧١م"**

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، الأندلسي، القرطبي "أبو الوليد" وزير وشاعر. ولد بقرطبه وتوفي بأشبيليه في رجب. ومن آثاره ديوان شعر، ورسالة عرفت برسالة ابن زيدون[3].

- **أبو حفص عمر بن خلف بن محمد الهمداني: "٥٠ هـ – ١١٠٧م"**

هو عمر بن خلف بن مكي الصقلي أبو حفص: قاضي، لغوي، محدث أندلسي، وليَّ قضاء تونس وخطابتها وكانت خطبه من إنشائه. وصنف

---

(1) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٤٨.

(2) عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، معجم مؤلفي المخطوطات مكتبة الحرم المكي، الرياض، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ص ٥٨.

(3) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ص ١٧٧.

"تثقيف اللسان" في ١٥٣ ورقة، في مكتبة ولي الدين جار الله بأستنبول، الرقم ١٧٢٥ علق عليه الميمني بأنه صالح للنشر[١].

- **ابن شهيد: "٩٩٢ – ١٠٣٥"**

أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي، أديب ولد ومات بقرطبه. كان من أسرة كريمة أتاحت له العلم والأدب والثراء. وزِر للمستظهر وهشام. وسجنه علي بن حمود ونفي إلى حصين أبي شريف، وأصيب بالفالج في آخر عمره الذي قضاه في اللهو. وهو أول من لقب بذي الوزارتين بالأندلس. ونظم أجمل شعره في مرضه اشتهر برسالة "التوابع والزوابع" المقاربة لرسالة "الغفران" للمعري والتي يرى بعض الأدباء إنها من الآثار العربية التي أثرت في الشاعر الإيطالي دانتي. وألف كتباً دينية أخرى مثل "حانوت عطار" "وكشف الدك" وجمع شعره شارل بّلا وطبعه بلبنان ١٩٦٣م ثم يعقوب زكي بمصر[٢].

- **عبد الله الغسّال: "٤٨٧هـ – ١٠٩٤م"**

أبو عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطي الأصل، الغرناطي الموطن ويعرف بابن الغسال "أبو محمد" فقيه مشارك في الحديث، والأدب، والنحو والتفسير والوعظ توفى في عام ٤٨٧هـ عن نيف وثمانين له تأليف في الوعظ، وأشعار.

ذكره ابن الأبار في ترجمة أبي إسحاق وقال فيه: "وسلك مسلكه أبو محمد الغسال الطليطي، وكانا فرسي رهان في ذلك الزمان صلاحاً وعبادةً"[٣].

---

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٥، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ص ١٠٨٥.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، دار الجيل بيروت، القاهرة، تونس الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ص ٢٦.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق: إ. لاقي برقنصال، ص ٤٠.

وكأنه عني السيّر على منهجه في الزهد والعبادة والمسلك الإجتماعي. وقد اشترك ابن الغسال مع أبي إسحاق في التنبيه على المشكلات الإجتماعية الطارئه، المسيطرة، التي أدت إلى التقاعس والخمول والتضييع، في الدعوة إلى الجهاد ومحاربة العدو بلا هوادة. وفي الدعوة إلى رفع الظلم عن الناس، وفي الدعوة العارمة إلى الزهد، وإنما يقصد الشاعر الزاهد أولاً إلى تلطيف سلوك الناس المندفعين إلى ملاذ الحياة وشواغلها وبهرجها والإشراف عليها في وقت يتطلب التقشف، والجهاد والمجاهدة، والجد.

وفي سنة ٤٥٦ عندما غزيت بربشتر(*) وقتلوا عامة رجالها وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرةً، ويذكر أنهم أختاروا من أبكار جواري المسلمين وأهل الحسن منهن خمسة آلاف جارية فأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه.

وفي ذلك يقول ابن الغسال:

ولقد رمانا المشركون بأسهم *** لم تخط لكن شأنها الصماء

هتكو بخيلهم قصور حريمها *** لم يبق لا جبل ولا بطحاء

باتت قلوب المسلمين برعبهم *** فحماتنا في حربهم جبناء

كم موضع غنموه لم يرحم به *** طفل ولا شيخ ولا عذراء

ولكم رضيع فرقوا من أمه *** فلهو أليها ضجة وبغاء

ولرب مولود أبوه مجدّلٌ *** فوق التراب وفرشه البيداء

ومصونة في خدرها محجوبة *** قد أبرزوها مالها استخفاء(١)

(*) هي مدينة من بلاد برطانيه بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجة من عين قريبة منها. وبرشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والأمتاع. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج١، ص ٣٧١.

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تصيح وتعليق: إ. لافي بروفنصال، ص ٤٠.

وعزيز قوم صار فـــي أيـــديهم *** فعليـــه بعـــد العـــزة اســـتخذاء

لـــــولا المســـــلمين وأنهـــــم *** ركبـــوا الكبـــائر مـــالهن خفـــاء

ما كان ينصر للنصارى فـــارس *** أبـــداً علـــيهم فالـــذنوب الـــداء[١]

كان القرن الخامس الهجري، في ظل دول الطوائف، منطلقاً لعدد غير قليل من الشعراء لنظم شعر الزهد. لأن النواحي السياسية والإجتماعية والثقافية أيضاً – سمحت بمثل هذا الاستغراق في شعر الزهد، فقد شحذت هذا النوع من الشعر[٢]. "فوضى الحياة السياسية، وزادت في حب الخلاص لدى الفرد من غوائل الحياة وشجعته على طلب النجاة لنفسه حين كان يرى الأوضاع الإجتماعية تزداد سوءاً، وأصبح الزهد لدى بعض أصحابه مـــذهباً أدبيـــاً أخلاقياً معاً، كما كان عند أبي العتاهية في المشرق"[٣].

ومن الذين عاصروا الألبيري ومالوا إلى القول في الزهد:

- **أبو القاسم السميسر:**

وكان زهده باللسان دون الاعتقاد به والإعتماد له مذهباً، لقد زهد شعره حين قصّرت أحواله عن مطالبه ومن شعره في الدنيا وحقيقـــة موقـــف الناس منها:

لله فـــي الـــدنيا وفـــي أهلهـــا *** معميـــــات قـــــد فككناهـــــا

ومن بشر نحـــن فمـــن طبعنـــا *** نحـــب فيهـــا المـــال والجاهـــا

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تصيح وتعليق: إ. لافي بروفنصال، ص ٤٠.

(٢) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، ص ٨١.

(٣) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط١، بيـــروت، دار الثقافـــة، ١٩٦٢م، ص ١٣٠.

وهذا موقف صريح جداً، بالغ الإسراف في التعميم، وقياس النـــاس علـــي مثال واحد. وهو موقف مبني على "سوء الظن بالناس، وعــدم الإطمئنـــان إليهم"[1].

- **ابن الحداد**[*]:

وقد تكون الفلسفة – لا التقوى – مصدراً من مصدراً من مصادر شعره وكان من مداح المعتصم بن صمادح صاحب المريه ومنه قوله:

لَزِمْتُ قَنَاعتِي وَقَعَــدْتُ عَــنْهُمْ *** فلستُ أَرَى الــوزيرَ ولا الأميــرَا

وكنتُ ســميرَ أَشْــعارِي سَــفَاهاً *** فَعُــــدْتُ لِفَلْسَــــفِيَّاتِي ســـــميرَا

- **أحمد الأقليشي:**

أيضاً نحا هذا المنحى وكان زاهداً عازفاً عن الدنيا ومن شعره قصـــيدة يتوجه فيها بالحديث إلى نفسه في مناجاة يشوبها شيء من التلوم، علـــى عادتهم في تضخيم الذنوب أو اعتذار الهفوات، أو تسجيل التقصير وعدة من الذنوب، ومنها قوله:

ثلاثون عاماً قــد تولــت كأنهــا *** حلوم تقضت أو بــروق خواطــف

وجاء المشيب المنذر المرء أنــه *** إذا رحلــت عنــه الشــبيبة تــألف

فيا أحمد الخوان قد أدبر الصــبا *** وناداك من ســن الكهولــة هــاتف

فهل أرق الطرف الزمان الــذي *** وأبكاه ذنــب قــد تقــدم ســالف؟

فجد بالدموع الحمر حزناً وحسرةً *** فدمعك ينبــي أن قلبــك آســف[2]

([1]) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٣٥.

(*) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الغيسي الأندلسي، شاعر وأديب، من أبناء القرن الخامس الهجري، له ديوان شعر كبير وكتاب في العروض. دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مج٢، ص ٤٣٩.

([2]) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، ص ٨٢.

- **ابن الريوّالي:**

وهو أيضاً من الشعراء الزهاد من صدروا في شعرهم الزهـدي عـن قناعة ورأي وهو من "العلماء الأتقياء العاملين بعلمهم"[١] ومـن شـعره الزهدي:

يـا معجبـاً بعلائـه وغنائـه *** ومطولاً في الدهر حبل رجائـه

كـم ضـاحك أكفانـه منشـورة *** ومؤمـل والمـوت مـن تلقائـه

- **إسماعيل الفهري:**

وكان أهل زمانه يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه ومن شعره الزهدي:

يـا غـافلاً شـأنه الرقـاد *** كأنمـا كأنمـا غيـرك المـراد

والمـوت يرعـاك كـل حـين *** فكيـف لـم يجفـك المهـاد[٢]

• ثقافته:

ليس أمامنا ثبت بالعلوم التي درسها الشاعر فكونت ثقافته وبوأته مكانه الرفيع، ولم تذكر لنا كتب التراجم الشيوخ الذين تتلمذ علـيهم شـاعرنا سوى ابن أبي زمنين، ولكننا نعرف "إن مناهج الدراسـة الأولـى فـي التعليم عند الأندلسين كانت تتناول كتابة الخط وقراءة القـرآن وتعلـم النحو والصرف ورواية الشعر، أما التعليم العالي عندهم فيقـوم علـى تفسير القرآن الكريم ودراسة علوم الدين والفلسفة وأصول اللغة العربية والشعر وعلم المفردات والتاريخ والجغرافيا"[٣].

---

(١) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص ١٣٢.

(٢) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ص ٨٣.

(٣) أحمد بن عبد الله بن أحمد، ديوان بن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٤.

ومن الطبيعي أن شاعرنا سلك هذه السبل، والدارس لآثارة الأدبية يرى صدى لشتى المعارف والفنون في هذه الآثار. فيرى كثيراً من التعبيرات القرآنية وإشاعاً من الأحاديث النبوية.

- **مكانته الأدبية:**

كانت للألبيري مكانه علمية وأدبية متميزة عند النقاد وأهل الأدب فقد وضعوه في مكانه تدل على تميزه ومكانته.

يقول القاضي عياض[*]: "إنه من أصحاب عبد الله بن أبـي زمنـين وروى عنه كتبه وكان فقيهاً معظماً في وقته عليه تفقه عبـد الواحـد بـن عيسى ابن الهمداني فقيه غرناطه وروى عنه كتب ابن أبي زمنين"[١].

كذلك تحدث عنه ابن الأبار[*] وقال: "كان من أهل العلـم والعمـل شاعراً مجوداً وشعره مدون وكله في الحكم والمواعظ والإزهاد"[٢].

أيضاً من الذين تناولوه بالترجمة أحمد[*] بن يحيى بن عميرة الضبي وقال عنه: "إنه فقيه، قاضي، زاهد، عارف، كثير الشعر في ذم الدنيا مجيد

(*) القاضي عياض:(٤٩٦١ – ٥٤٥هـ – ١١٠٣ – ١١٤٩م)

عياض بن موسى بن عياض، المالكي ويعرف بالقاضي عياض محدث، حافظ، مؤرخ، ناقد، مفسر، فقيه، أصولي عالم بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم شاعر وخطيب أصله مـن الأنـدلس، ومـن تصانيفه الكثيرة، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، والإلماع في أصول الرواية والسماع وغيرها.

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ج٣، منشورات مكتبـة الحيـاة، بيروت، ص ٨٢٨.

(*) ابن الأبار: هو محمد بن عبد الله ابن أبي بكر الأندلسي الشهير بابن الأبار، فقيه، حـافظ، مقـري، نحوي، لغوي، كاتب، مؤرخ، محدث، أديب، شاعر، ومن آثاره وفاده الوفادة وغيرها ولد ببلنسـيه فـي ربيع الثاني وقتل بتونس في ٢٠المحرم.

(٢) التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد، ص ١٣٦.

(*) الضبي:(٥٩٩هـ – ١٢٠٣م)

أحمد بن يحيى بن عميره الضبي "أبو جعفر" مؤرخ، ومن رواة اللغة والشعر، ولـد فـي مدينـة بلـش بالأندلس وقد ركب متن الأسفار في شمال أفريقيا وطوف بلاده ومن آثاره بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص ٣٢١.

في ذلك"[1]. وصاحب الأعلام ذكر أنه: "شاعر أندلسي أصله من حصن العقاب، اشتهر بغرناطه وأنكر على ملكها كونه أستوزر ابن النغريلة اليهودي فنفي إلى إلبيرة"[2].

يقول البلوي[*]: "كان الأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سودة شيخي رحمه الله يحمل طلبته على حفظه" "يعني شعر الألبيري" لجودته[3].

ولعل أهم نص توقف أمامه الدارسون، من العرب والمستشرقين هو قصيدة أبي إسحاق الألبيري التي مطلعها:

أَلا قُل لِصِنهاجَةٍ أَجمَعين *** بُدورِ النَدِيِّ وَأُسدِ العَرين[4]

وهو نص كتبه الشاعر يحرض فيه الحاكم حيوس بن باديس على وزيره اليهودي يوسف بن النغريله الذي استبد وطغى. وفيه يصف اليهود بإنهم كفار، وقرود أراذل، ويستخفون بالمسلمين و يتطاولون على الصالحين، وأنهم فراخ الزنا وفاسقون وكلاب وجبناء، وسحرة، وبشر يكنزون المال لنقرأ هذه الأبيات:

وَكَيفَ تُحِبُّ فِراخَ الزِنا *** وَهُم بَغَّضوكَ إِلى العالَمين

وَكَيفَ اِستَتَمتَ إِلى فاسِقٍ *** وَقارَنتَهُ وَهُوَ بِئسَ القَرين

([1]) كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس، ص٢١٠.

(عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص ٣٢١).

([2]) الأعلام، الجزء الأول، دار العلم للملايين، ص ٧٣.

(*) يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي، المالقي، الأندلسي، المالكي أديب لغوي ولد بمالقة ومن آثاره العلمية كتاب ألف باء وتكميل الأبيات وتتميم الحكايات.

(كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص ١٨٠).

([3]) عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، ط دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٢١ – ٢٢.

([4]) الإلبيري، ديوانه، ص ١٠٨.

فَقَد ضَجَّتِ الأَرضُ مِــن فِســقِهِم *** وَكـــادَت تَميـــدُ بِنـــا أَجمَعـــين

تَأَمَّـــل بِعَينَيـــكَ أَقطارَهـــا *** تَجِـــدهُم كِلابـــاً بِهـــا خاسِـــئين

وَهُـــم يَقبِضـــونَ جِباياتِهـــا *** وَهُم يَخضِـمون وَهُـم يَقضِـمون

فَبـــادِر إِلـــى ذَبحِـــهِ قُربَـــةً *** وَضَـحِّ بِـهِ فَهُـوَ كَـبشٌ سَـمين

وَلا تَحسِـــبَن قَـــتلَهُم غَـــدرَةً *** بَل الغَـدرُ فـي تَـركِهِم يَعبَثـون

وَقَـد نَكَثـوا عَهـدَنا عِنـدَهُم *** فَكَيـفَ تُـلامُ عَلـى النـاكِثين

وَنَحـنُ الأَذِلَّـةُ مِـن بَيـنِهِم *** كَأَنّـا أَسَـأنا وَهُـم مُحسِـنون

فَكَـم مُسـلِمٍ فاضِـلٍ قانِـتٍ *** لأَرذَلِ قِـردٍ مِـنَ المُشـرِكين[1]

تنهض شهرة أبي إسحاق بين المسلمين على أعماله الزهدية بخاصة، ولكن شهرته بين الأوربيين تعود في المقام الأول إلى قصيدته الشهيرة التي توجه بها إلى بربر صنهاجه.

يحرضهم على اليهودي يوسف بن النغريله، وزير الملك بن باديس. وهي القصيدة رقم ٢٥ في الديوان. والحق أن القصيدة تستحق ما حظيت به من شهرة. ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً سياسياً مباشر في التاريخ السياسي لأمة من الأمم. فكهربت العزائم، ودفعت بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق، وشحذت السيوف للقتل، كالدور الذي لعبته هذه القصيدة. لم يحدث أبداً أن كان البغض ذا بصيرة، ولا الشراسة أكثر فطنة، كما حدث في هذا اليوم. ومن المثير حقاً، أن نرى في قرن واحد الشعر غارقاً في الصناعة، والشعراء مولعين بنظم النجوم، والتوهان في الحدائق، وحتى ما تعرّض له من إشارات سياسية، يأتي عابراً كوخز الإبر الناعمة، أو مخبأ كالطعوم المسمومة في مهارة. لكن هذا[2]

---

(1) الإلبيري: ديوانه، ص ١٠٩.

(2) إميليو غرسية غومث، انظر مع شعراء الأندلس والمتنبي، نقله إلى العربية الدكتور: الطاهر مكي، ط دار الفكر العربي، الطبعة السابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٩٧.

الشيخ لا يهدأ، أنه برعم وفيّ لدم عربي، وابتعد الشاعر في هذه القصـــيدة عن الكلمات الغامضة والبحور المعقدة، وعن الرمـــوز الشـــعرية، وعـــن الأوصاف والأقوال المكروره في مصنع الشعراء. فأخذ من العربية أشـــد الكلمات قوة وصلابة، الألفاظ التي يمكن أن يفهمها كل مسلم قـــادر علـــى قراءة القرآن. وبعد ذلك جاء بكثير من الصور الدقيقة: هؤلاء اليهود الذين كانوا من قبل يبحثون في الزبالة عن خرقه مهترئه يكفنون بهـــا موتـــاهم. أصبحوا الآن يقتسمون غرناطه فيما بينهم، ويقبضون الجبايات، ويتـــأنقون في اللباس، ويردف كل قوله مما سبق بنقيضها الملائم لها: "وأنـــتم أيهـــا السادة الصالحون، ترتدون وضيع الثياب، أنتم المساكين الجـــوعى، وهـــم يسرقونكم، وأنتم على أبوابها تتسولون". لعل الشعر الأندلسي لم يعرف أبداً البساطة عارية كما عرفها في هذه القصيدة، وفي الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها، يلفها مثل هذا الإعصار من المشاعر لقد إجتاحـــت أنغامهـــا، حيـــة متوهجه، أعماق المدينة، مع زفير النيران، وحشرجة الموتى[١].

قال ابن خلدون[*]: "كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب، ولا يحذق فيه إلا الفحول... لأن معانيها متداولة بين الجمهور مبتذلة لذلك"[٢].

---

(١) إميليو غرسية غومث، انظر مع شعراء الأندلس والمتنبي، ص ٩٧.

(*) ابن خلدون:هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون الأشبيلي الحضرمي القاضي ولد سنة ٧٣٢ بتونس وتوفى سنة ٨٠٨هـ بالقاهرة له. تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي. وله عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر في التاريخ سبع مجلدات مطبوعة بمصر.

(إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، ص ٥٢٩).

(٢) المقدمة، ج٢، حققها وضبط كلماتها وشرحها وعلق عليها وعمل فهارسها: د. علي عبد الواحد وافي، ط٢، بيروت ، لجنة البيان اللغوي، ١٩٦٨م، ص ٣٧٧.

(وعلى الرغم من هذه الصعوبة اقتحم شعراء من القـــرن الخـــامس غرض الزهد، وتفاوتت فيه مستوياتهم بدون شك وقد كونت أشـــعار أبـــي إسحاق الإلبيري وحده ديواناً كاملاً أغلبه في الزهد)[1].

واقتحام الشعراء لهذا الضرب من الشعر بالرغم ما ذكر فيـــه مـــن صعوبة وابتذال معاني، يدل دلالة واضحة على تمكـــنهم وســـعة ثقـــافتهم واتساع مداركهم.

وأيضاً نلمح من خلاله التزامهم تجاه مجتمعـــاتهم لأن المجتمعـــات وقتذاك كانت في حاجة ماسة لمثل هذا الشعر ليكبح جماح تلك النفوس التي انحرفت وراء رغباتها المشروعة وغير المشروعة.

---

(1) د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ، ليبيا، ١٩٧٨م، ص٧٤.

المبحث الثاني

عصره

المطلب الأول:

الحياة السياسية

المطلب الثاني:

الحياة الأدبية

المطلب الثالث:

الحياة الاجتماعية

المبحث الثاني
عصره

المطلب الأول: الحياة السياسية:

إذا أردنا أن ندرس دراسة منهجية لأدب ما أو دراسة تطبيقية لشعر شاعر معين. فإنه يجدر بنا أن ندرس العصر الذي نشأ فيه هذا الأدب، وذلك الشاعر لأن الأدب يعبر عن تأثير شخصية الأديب بالواقع الذي يعيش فيه، فيأتي شعره معبراً عن نفسه وعن واقعه من حوله والشاعر يجب أن يكون صادقاً مع نفسه ووجدانه حتى يكون فنه إنعكاساً لبيئته وواقعه ومجتمعه.

كان انهيار الخلافة الأموية، والسلطة المركزية وما اقترن بذلك من الفوضى الغامرة. فرصة سانحة لظهور الزعامات البربرية، وقد كانت دولة بني مناد في غرناطه، من أقوى الدول البربرية في الجنوب.

وبني مناد يرجعون في الأصل إلى قبيلة صنهاجة البربرية الشهيرة، وهي بطن من بطون قبيلة البرانس الكبرى. وكان زعيمهم زيري بن مناد من أعظم أمراء البربر. وقد حارب قبائل المغرب المخالفة للعبيديين مع جوهر قائدهم وقتل في بعض المعارك، فخلفه ولده بلكين.

وبعد أن فتح المعز مصر أختار بلكين لولاية أفريقية، ثم خلفه على ولايتها ولده المنصور، ثم خلف المنصور ولده باديس بن المنصور وقد حدث أيام ولاية باديس بن المنصور على أفريقية.

حادث كان له فيما بعد أكبر صدى في حوادث الأندلس. ذلك أن باديس استبد بقومه آل مناد. ووقعت بينه وبين أعمامه وأعمام أبيه فتن ومعارك، قتل في أثنائها، عم أبيه ماكسن بن زيري بن مناد[1]:

([1]) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، ص ١٢١.

فاستوحش الباقون من عاديته، وعولوا على مغادرة أفريقية[١].

وبدأت ولاية حبوس لغرناطه ٤١١هـ حسبما تقدم في أخبار الفتنه فسار حبوس سيرة حسنة، فضبط النظام والأمن وقسّم الأعمال بين أقاربه وبني عمه، واتسعت رقعة مملكته[٢].

ويشيد ابن حيان[*]، وقد عاصر هذا العهد بخلال حبوس فيقول: "إنه كان على قسوته يصغي إلى الأدب وينتمي في العرب للأثر المقفو في قومه صنهاجة وكان وقوراً حليماً فظاً مهيباً، نذر الكلام، قليل الضحك، كثير الفكر، شديد الغضب، شجاعاً، حسن الفروسية، جباراً متكبراً، داهية واسع الحيلة، كامل الرجولة، له في ذلك أخبار مأثورة"[٣].

عندما أخذ الضعف يدب في جسم الدولة الأموية بعد أن استبد العامريون بأمر الخلافة. بدأ رؤساء الطوائف يستقلون بالإمارات التي يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف[٤].

وساعدهم على ذلك خطآن إرتكبهما بنوا أمية أثناء الفتنه البربرية، أحدهما: استعانتهم بملوك أسبانيا النصرانية في الصراع على عرش الخلافة، مما قضى على هيبة الخلافة، ودلل على ضعف الحماس الديني،

---

(١) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، ص ١٢١.

(٢) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص ١٢٢.

(*) ابن حيان:(٦٥٤ –٧٤٥) – (١٢٥٦ – ١٣٣٤م)

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي أديب، نحوي، لغوي، مفسر، محدث، مقرئ، مؤرخ، توفى بالقاهرة ١٨ صفر ومن تصانيفه الكثيرة، البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب، عقد أللآلي في القراءات السبع العوالي وغيرها من المصنفات.(رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، مؤسسة الرسالة، ص ٧٨٤).

(٣) أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م، ص ٤٠٤.

(٤) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٥م، ص ٢٤.

فاستهان بهم الناس وأصبحوا لا ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون من قبل إلى الناصر أو المستنصر.

أما الخطأ الثاني الذي ارتكبه بنو أمية في فترة الفتنه فهو أنهم تركوا أقاليم الدولة وولاياتها تقع في أيدي عناصر الصقالبه والبربر[1].

وقد أصبحت المدن الهامة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات الصغيرة ومن أهم هذه الدويلات[2].

- **الدولة الزيريه:**

استقلت في غرناطه سنة ٤٠٣هـ وهي دولة بربرية.

- **الدولة الحمودية:**

استقلت في عهد المستعين الأموي سنة ٤٠٧هـ وهي شيعية من المغرب تنسب إلى إدريس من سلالة الحسن بن علي.

- **الدولة الهوديه:**

في سرقسطه وهي دولة عربية أشهر ملوكها المقتدر بالله.

- **الدولة العامرية:**

في بلنسيه سنة ٤١٢هـ وهم من موالي بني عامر.

- **الدولة العباديه:**

في إشبيليه ٤١٤هـ وهي عربية من بني لخم من ولد النعمان بن المنذر.

---

(1) د. رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ص ٢٧٣.

(2) عبد الرحمن بن خلدون المغربي، تاريخ العلامة بن خلدون منشورات الكتاب اللبناني للطباعة والنشر. ص ١٢٠.

- **دولة بني الأفطس:**

في بطليوس سنة ٤٢١هـ وكانت دولة متحضرة نهضت بالعلوم والفنون.

- **الدولة الجهورية:**

في قرطبه سنة ٤٢٢هـ قامت بعد سقوط الخلافة الأموية.

- **دولة ذي النون:**

في طليطه سنة ٤٢٧هـ وهي بربرية من قبائل هوارة[١].

والواقع أن هذه الدول الصغيرة، التي قامت على أنقاض الأندلس الكبرى. لم تكن – إذا استثنيا القليل منها – تستطيع الحياة بمفردها، أو تستطيع الاستقلال بشئونها السياسية أو العسكرية، وإنما كانت دول الطوائف أقرب منها إلى وحدات الإقطاع[٢].

لقد كان ملوك الطوائف ضعافاً في وطنيتهم، ضعافاً في دينهم وكان ملك قشتالة يعاملهم معاملة الأتباع ويبتز منهم الأموال الطائلة[٣].

وقد كان الطابع السياسي لتلك الفترة، هو الطابع الاستبدادي، ففيه القوة التي تحمل الضعف، والإنتصار الذي ينطوي على الهزيمة، والصعود الذي ينذر بالهبوط ذلك لأن القوة كانت قوة الحاكم لا قوة الشعب، والإنتصار كان انتصار الطمع لا انتصار المبدأ. كما كان الصعود صعوداً إنتهازياً، لا تسنده دعائم من القيم تضمن له البقاء[٤].

---

(١) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي. ص ٣٥.

(٢) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٤١٩.

(٣) أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص ١٢٩.

(٤) د. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٨٦م، ص ٢٦٦.

كان للأندلسين خطط لتنظيم أعمال الحكم في البلاد، تبدأ بـــالوزارة. وصار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ويختص بهم.

- وكانت الكتابة عندهم على ضربين، أعلاهما: كاتب الرسائل وهـــو كاتب أديب يتولى كتابة الرسائل الرسمية وغير الرسمية.
- والكاتب الآخر كاتب الزّمام، وهو كاتب حسابي، وكانوا يلاحظـــون أن لا يكون نصرانياً ولا يهودياً، لأن عظمـــاء النـــاس ووجـــوههم يحتاجون إليه، وهم يأنفون أن يحتاج المسلم لمن ليس من دينه.
- وصاحب الخراج أو الأعمال الخراجيه كان أعظم من الوزير، وأكثر إتباعاً وأجدى منفعة.
- وخطة القضاء أو وظيفة القضاء بالأندلس كانت أعظـــم الخطـــط أو الوظائف وأسماها عند الخاصة والعامة، لتعلقها بأمور الـــدين، ولأن القضاة كان لهم سلطة كبيرة، حتى يستطيع القاضـــي أن يســـتدعي الأمير أو الخليفة للمثول أمامه. وكان لا يشغل مناصب القضاء سوى أكابر العلماء والفقهاء.
- أما خطة الشرطة بالأندلس فكان يعرف صاحبها عند العامة بصاحب المدينة، وصاحب المدينة هو الذي يحد على الزنا وشـــرب الخمـــر، وكثير من الأمور الشرعية.
- **خطة العسس:** وهؤلاء كانوا يعرفون في الأنـــدلس "بالـــدرابين" لأن بلاد الأندلس لها دروب بأقفال تقفل عليها بعد العتمة.
- **خطة الحسبة:** كان يتولاها عالم فطن كأنه قاض، وكان يتمثل عمله في المرور على الأسواق راكباً، ومعه أعوانه وميزانه، فيزن الخبز الذي كان محدد الوزن، ويمتحن الأسعار[1].

---

(1) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٦م، ص ١٣٩.

وكان الأندلسيون في تدينهم يقيمون الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم وينكرون التهاون فيها أو تعطيلها، وإذا عطلها حاكم أو سلطان إقتحموا عليه قصره غير عابئين بالحراس من راجلين وفرسان حتى يخرجوه من بلدهم، بل إنهم جعلوا من أنفسهم رقباء على القضاة والولاة وكثيراً ما رجموا قاضياً تحيف في حكمه أو والياً لم يرع الأمانة في إدارة أمورهم[1].

يمكن أن نقول إن الإلبيري أدرك من العهود السياسية ثلاثة، وفي كل عهد أمراء ورؤساء وظروف مختلفة:

- فقد أدرك دولة العامريين بالأندلس، مدة تسلط محمد بن أبي عامر المتلقب بالحاجب المنصور، ومدة ابنيه بعده.

- وأدرك مدة الفتنه حين نهض بنو أمية لاسترداد ما سلبهم إياه ابن عامر وأولاده من السلطة والقيام بشؤون الناس. وهي فترة أمتدت من سنة ٤٠٠ إلى ٤٢٢، وهي فترة مضطربة، ظهرت معها أوليات دول الطوائف التي اقتسمت الجسد الأندلسي الأموي الواحد. وكان ابن أبي عامر في مدته الطويلة قد أضعف العصبية الأموية خاصة والعصبية العربية عامة.

- وعاصر مدة دول الطوائف ومات في أثنائها نحو ٤٦٠هـ قبل انهيار الأندلس الكبير بسقوط طليطه سنة ٤٧٨هـ. وكانت مدة الفتنه هذه نكده صعبة عسيره لاقى منها الناس شراً مستطيراً. خربت معها الزّهراء والزّاهرة وتشوهت معالم قرطبة، وتغيرت الموازين السياسية وتبدلت قيم إجتماعية كثيرة، وانهمك الناس في أمور كانوا لا يوغلون فيها، وشغلتهم الدنيا: بين توفير أدنى المطالب في هذه الظروف، والإنغماس فيها عند القادرين وعند أثرياء المرحلة[2].

---

(1) د. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، ص ٧٤.

(2) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣.

وكانت هذه المدة من أشد عصور الأندلس غرابة، فقد:

– ضعفت فيها الأمة عن مواجهة عدوها وصارت تتهاوى عند رغباته وتنحني لمطالبه.

– وانتثر عقد الدولة الواحدة، دولة الأمويين، وصارت البلاد دويلات هزيلة تختلف على العظائم والصغائر، وتتمسح بأعتاب العدو ليزهق بعضهم بعضاً، وليكون هذا في مصلحة ذلك العدو.

– وأرهق ملوك الطوائف الناس لتتحقق لهم رغباتهم وأهواؤهم من جهة، وليقدموا ثمن سكوت ملك قشتاله وغيره. وانغمس أولئك الحكام – إلا القلة القليلة – في حياة بذخ وترف لا تطيقها الرعية ولا تسمح بها ظروف البلاد والعباد. وأضاع معظم السياسيين والعسكريين رسم الجهاد، وذهبت أيام العز، وصارت كلمة الأندلسيين هي السفلى، وبدأ التراجع العربي الإسلامي عن أرض الأندلس ويكفي أن نذكر سقوط طليطه سنة ٤٧٨. وأسهم الحكام الجدد – وأكثرهم لا يصلح لسياسة ولا لرياسة – في إفساد الذوق العام، وغلبة الأهواء الشخصية، والركون إلى النفاق السياسي[١].

وقد بيّن ابن حزم معاصر أبي إسحاق الألبيري مفاسد هذه المدة، ومفاسد حكامها وأخطاءهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية[٢]. وفي زمن دولة باديس[*] تولى أبو إسحاق الإلبيري الكتابة للقاضي أبي الحسن ابن

---

(١)الإلبيري،ديوانه، ص ١٣.

(٢) جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م، ص ٣٢.

(*) باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي أبو مناد الملقب بالمظفر: صاحب غرناطه وأعمالها من ملوك الطوائف بالأندلس. بويع بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ وطمع في زهير العامري صاحب المريه فهاجم غرناطه ووصل بابها سنة ٤٢٩هـ .(الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٤٢).

توبه(*) مدة غير قليلة (لا نعرف كم هي تحديداً). وباديس هو المعني بقصيدته الشهيرة:

أَلا قُل لِصِنهاجَةٍ أَجمَعين *** بُدورِ النَدِيِّ وَأُسدِ العَرين[1]

التي أسهمت إسهاماً قوياً في الثورة على الوزير المتسلط المتآمر على الأمير نفسه، وعلى أسرته، وعلى أهل غرناطه يوسف بن إسماعيل بن النغريله(*).

وذكر الأمير عبد الله الأسباب التي دعت جده باديس إلى الإستنامه إلى ابن النغريله وقال أنها تتلخص في أمور[2]:

- فقد كان كيساً يحسن فن المداراة للناس مما يناسب ذلك الزمان.
- وهو يهودي لا تطمح نفسه إلى الولاية والإنقضاض على صاحب الدولة.
- وهو ليس من الأندلسيين فيخشى باديس منه أن يتفق مع سلطان من ملوك الطوائف.

(*) هو يوسف بن إسماعيل ويعرف بابن النغريله، كان أبوه وزيراً لأبي باديس، فأكثر يوسف من استخراج الأموال واستعمال إخوانه اليهود على الأعمال وعارضه ابن لباديس اسمه بلقين، فدس له السم فقتله وغرته مكانته عند باديس فطلب أن يقيم لليهود فعلمت صنهاجه بسوء ما يسعى إليه فدخلوا داره وقتلوه وصلبوه على باب المدينه.(الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٤٤).

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ١٠٧.

(*) هو محمد بن علي بن توبه سمع أبا عبد الله الحسين الحليمي، وأبا نصر الكلاباذي وعلي ابن أحمد الخزاعي ببخارى وسمع أبا نصر الحيان بدمشق. روى عنه أبو القاسم بن أبي العلا ومحي السنة الحسين بن مسعود البغوي.

(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ص ٥٠٩).

(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ١٥.

المطلب الثاني: الحياة الأدبية:

كانت الحياة العقلية عند الأندلسيين حياة تستمد أفكارها، وتعتمد في موازينها على الكتاب والسنة، يجعلونهما الفيصل فيما يختلفون فيه! والمنار الهادي فيما يشتبه عليهم من الأمور، أو يخفى عليهم من المسائل، فلا يخرجون عليها، وحولها كانت دراستهم[1].

لقد كان شعب الأندلس شعباً يقبل على العلم للعلم ذاته ومن ثم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم. وكان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم. ومتى عرف بالعلم أصبح في مكان التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان[2].

وكانت كلمة عالم تنصرف عادةً إلى الفقهاء، ولم يكن الفقيه عالم دين وحسب، وإنما كان عادةً واسع الثقافة متشعب ألوان المعرفة، آخذاً من كل منها بطرف، له مشاركة في الأدب من شعر ونثر ولكن الصفة العلمية الأولى التي يتحلى بها كانت الصفة الفقهية[3].

تهيأت لأهل الأندلس أسباب الشعر وتوافرت لديهم دواعيه، فطبعوا على الشغف به، وانبسطت ألسنتهم بقوله، حتى قل أن تجد منهم من ألم بطرف من الآداب ولم يقل شعراً.

وقد كان لطبيعة الأندلس الزاخرة بالمفاتن أثر كبير في طبعهم على هذه الشيمة، حتى لم تخل مدينة من مدنها من شاعر حاذق، أو كاتب بليغ[4]. لم تخل حياة الشعراء من مضايقات، وأعنفها ما كان يلقاه بعضهم

---

(1) إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص ٣٨.

(2) مصطفى الشعكه، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار الملايين، بيروت – لبنان، ص ٧١.

(3) المصدر السابق نفسه، ص ٧٥.

(4) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ص ٦٣.

من لفيف من الفقهاء كانت تدفعهم غيرتهم الدينية إلى أن يوقعوا ببعض من عرفوا بزيغ أو مجون أو خلاعة.

كانت العربية لغة الأندلس الرسمية بها تجرى المكاتبات والمراسلات، رغم جنوح لغة التخاطب إلى العامية.

ولما كان الشاعر يتولى في كثير من الأوقات وظيفة كتابيه بوصفه وزيراً، كان عليه أيضاً أن يكون واقفاً على أصول الإنشاء مجوداً للكتابة.

كذلك أدى العطف الذي أبداه الخلفاء والأمراء نحو الأدب والمتأدبين إلى كثرة الكتاب والشعراء وإلى ازدهار الأدب ولاسيما في زمن ملوك الطوائف، ولكن هذا العطف لم يكن السبب الوحيد في هذا الإزدهار بل إن أسلوب تعلم اللغة العربية والتثقيف بالثقافة الأدبية العامة كان لهما أثر أيضاً أثر كبير[١].

لقيت الثقافة في الأندلس في عهد الطوائف الكثير من الحرية والتشجيع ولكنها لم تحظى كثيراً من الإتساع.

إن الثقافة تحتاج إلى زمن تنضج فيه شيئاً فشيئاً بخلاف الحضارة التي يمكن أن تستبحر في الزمن القصير بعامل النقل والتقليد[٢].

لقد كانت معاملة ملوك الطوائف لأهل الأدب معاملة طيبة تتسم بالعطف والتقدير، فقلموا أظافر الشر في نفوسهم وكان الشعراء ينالون ما يريدون عن طريق المدح والتملق فسكنت مرتهم.

وكان كرم ملوك الطوائف يسع الجميع فقلّ التهاجي بين أهل الأدب[٣]. والحق أن الأندلسين كان لهم ولع شديد بمنافسة المشرقيين

---

(١) جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ٦٤.

(٢) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط دار العلم للملايين، ج٤، ص ٣٩٢.

(٣) مصطفى عوض الكريم، الأدب الأندلسي في عصر المرابطين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٨٤.

وتقليدهم في العلم والأدب، وقد أثرت هذه المنافسة في إزدهار العلوم والأدب بالأندلس، وفي إصطباغ كثير من الفنون الأدبية في الأندلس بالصبغة المشرقية، وفي اتجاه الشعر إلى الطريق التي اتجه إليها الشعر في المشرق من حيث الصناعة الشكلية، وإلى حد كبير في المعاني والأفكار(١).

تمتعت المرأة في الأندلس بقسط من الحرية والنفوذ. ولكن لم تلبث حرية المرأة وسيطرتها أن برزت بصورة أقوى وأشد مع نهاية القرن الرابع الهجري. وبداية تغلغل النفوذ البربري في المجتمعات الأندلسية.

وكان لهذه المكانة التي احتلتها المرأة في المجتمع الأندلسي أثر في الأدب شعره ونثره. فأباحت المرأة الشاعرة لنفسها أن تتغزل في الرجل كما يتغزل الرجل بالمرأة سواء بسواء.

وقد أشار بن رشيق(*) إلى إن نقاد المشارقه عابوا على عمر بن أبي ربيعة أن جعل النساء في بعض شعره يتحدثن عنه(٢). لقد واكبت نهضة الشعر في هذا القرن أي الخامس نهضة أخرى من الشاعرات تمثلت في وفرة عددهن واختلاف بلادهن ونفاسة إنشائهن وتجديد فنونهن، فكان في مدينة المريه(*) من الشاعرات المجيدات، الشاعرة الغسانيه البجانيه وزينب المريه وغاية المنى وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح.

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الأندلس منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ص ٢٤٨.

(*) هو الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (أبو علي) شاعر، أديب، نحوي، لغوي، مؤرخ، عروضي، ناقد، ولد بالمهدية ورحل للقيروان ودخل صقلية وسكن مازر، وتوفى بالقيروان ومن تصانيفه الكثيرة "العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه".(رضا كحالة، معجم المؤلفين، ص ٥٥١).

(٢) ابن رشيق، العمده، ج٢، ص ١٤٨.

(*) المريه بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء: هي مدينة كبيرة من كورة البيره من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانيه بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب. يضرب ماء البحر سورها ويعمل بها الوشي والديباج فيجاد عمله، وكانت أولاً تعمل بقرطبه ثم غلبت عليها المريه فلم يثقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المريه.

(شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج٥، ص ١١٩).

كذلك في أشبيلية يقع نظرنا على الشاعرة مريم بنت يعقوب الأنصاري وعلى الأميرة الجميلة. بثينه بنت كبير ملوك الطوائف وكبير ملوك الشعراء في الأندلس المعتمد بن عباد[*].

أما إذا عدنا إلى قرطبة وجدنا فيها كبيرة شاعرات الأندلس الأميرة ولادة بنت المستكفي. وهناك في واد غير بعيد عن غرناطة حيث الخضرة والأشجار وتتخللها السواقي والجداول والأنهار وما يستتبع ذلك من طيور مغردة وظلال وأفياء ونسائم وأنداء.

مما يبعث الشعر رقيقاً أخاذاً ويدفع به إلى رحاب الأسماع دفعاً عاشت حمدونه بنت زياد في بيت فيه علم وآداب فقد كان أبوها زياد الوادي آشي يعرف بزياد المؤدب وقد أنشأ ابنتيه حمدونه وأختها زينب على الأدب والعلم فكانتا شاعرتين من شهيرات شاعرات الأندلس.

فلنقف قليلاً مع حمدونه تصف لنا واديها بأجمل ما يوصف به واد، فرسمت له صوراً وفتقت حوله معاني من أبرع ما رسم من صور وأرق ما فتق من معاني قائلة:

وَقانا لفحةَ الرمضاء واد *** سقاه مضاعف الغيث العميمِ
حَلَلنا دوحهُ فحنا علينا *** حنوّ المرضعات على الفطيمِ
وَأرشَفنا على ظمأٍ زلالاً *** ألذّ من المدامة للنديمِ
يصدّ الشمس أنّي واجهتنا *** فَيحجبها ويأذن للنسيمِ[1]

(*) محمد بن عبد الله بن عباد (٤٣١ – ٤٨٨هـ) (١٠٤٠ – ١٠٩٥م).
صاحب أشبيلية وقرطبة وما حولها، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور. ولد في باجه بالأندلس وولي أشبيلية بعد وفاة أبيه سنة ٤٦١هـ وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً بديع التوقيع له ديوان شعر.(الزركلي، الأعلام، ص ١٨١).

(1) د. مصطفى الشعكه، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص ١٥٢.

وكانت حمدونه هذه تلقب بخنساء المغرب، وشاعرة الأندلس.

قال المقري: خرجت حمدونه مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت، قالت:

أَباحَ الدمع أسراري بوادي *** لهُ للحسنِ آثارٌ بوادي

فَمن نهرٍ يطوفُ بكلِّ روضٍ *** وَمِن روض يرفّ بكلّ وادي

ومِن بين الظباء مهاة إنس *** لَها لبّي وقد ملكت فؤادي

لَها لحظٌ ترقّده لأمر *** وذاك الأمرُ يَمنعني رقادي

إِذا سدلت ذوائبها عليها *** رأيت البدرَ في أفق السواد

كأنَّ الصبحَ مات له شقيق *** فمن حزن تسربلَ بالحدادِ

أيضاً من الأديبات الأندلسيات حفصه الركونيه، قال بن سعيد: كتبت حفصه إلى بعض أصحابها:

أَزوركَ أَم تزور فإنّ قلبي *** إِلى ما تشتهي أبداً يميلُ

فَثَغري مورد عذب زلال *** وَفرع ذُؤابتي ظلٌّ ظليلُ

وَقد أمّلت أن تظمى وتضحي *** إذا وافى إليك بيَ المقيلُ

فَعجّل بالجوابِ فما جميل *** إباؤك عَن بثينة يا جميلُ[1]

إن شاعر الطبيعة حين يعمد إلى وصفها يمسك بريشة فنان استحضر معه كل ما يحتاج إليه من ألوان بهيجه بحيث يستطيع أن يجعل من أبياته لوحة نضرة تجذب الأنظار وتخطف الأبصار. ففي الطبيعة اخضرار واحمرار واصفرار وفيها أوراق خضر نضيرة وأغصان غضه مياسة، وفيها نور

([1]) د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت، ص ٧١٩.

وأزاهير وشذا وعبير، وفيها حفيف الغصون وتغريد الطيور، وفيها ميــاه صافية فضيه بالضحى عسجدية عند الأصيل.

لقد تمثل شاعر الطبيعة الأندلسي كل هذه المعاني وكانت أدواتــه فــي رسمها التشبيه العذب والإستعارة الجميلة. إن الشاعر الوزير عبد الله بن سماك يجري محاولته في هذا النطاق فيقول[١]:

الروض مخضر الربى متجمل *** للنــــاظرين بأجمـــل الألـــوان

كأنما بســطت هنــاك شــوارها *** خــود زهــت بقلائــد العيقــان

كذلك أبو الحسن بن زنباع[*] يصف قصة الطبيعة في الرياض وفعل السحاب بها حتى تسربلت بحلتها الجميلة وتفتحت أزهارها ونضجت ثمارهــا فيقول وقد أفرط في التصنع ولم ينس أن يتلاعب بالمحسنات البديعية بين الفينة والفينة:

أبدت لنا الأيام زهــرة طيبهــا *** وتســربلَت بنضــيرها وقشــيبها

واهتز عطف الأرض بعد خشوعها *** وبدت بهــا النعمــاء بعــد شــحوبها

وتطلعت في عنفــوان شــبابها *** من بعدما بلغَت عتيــي مشــيبها

وقفت عليها السحب وقفة راحمٍ *** فبكت لهــا بعيونهــا وقلوبهــا[٢]

([١]) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، قدم له ووضع فهارسه، محمد العنــابي المكتبــة العتيقة تونس، ص ٢٠٤.

(*)أبو الحسن بن زنباع، فقيه، قاضي، أديب شاعر، متطبب، أندلسي، وكان إلى ذلك عرافاً بالشعر القديم، متعمقاً في اللغة ذلق اللسان، لذيذ الحديث، دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مج ٣، ص ١٤٢.

(محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، الرياض، ٢٠٠٤م، الجزء الثاني، صفحة ٧٧٥).

([٢]) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص ٢٢٥.

والحق أن الشعر الأندلسي كما يقول الرافعي[*]: "يمتاز بتجسيم الخيال النحيف، وإحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحي بها الحضارة، والتصرف في أدق فنون القول، واختيار الألفاظ التي تكون مادةً لتصوير الطبيعة، وإيداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها كأنها التوقيع الموسيقي، ولا يشاركهم في ذلك إلا من ينزع منزعهم ويتكلف أُسلوبهم"[1].

(*) مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧م) الأديب الإسلامي الكبير من مصر ذكر تلميذه محمد سعيد العريان في كتاب أصدره بعد وفاته بعام أنه ترك على مكتبه كتباً لم تطبع وقصاصات لم ترتب وثمرة عقل خلاق كان يجتهد جهده ليضيف كل يوم إلى العربية ثروة جديدة ومن كتبه التي لم تطبع الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب. (محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، الرياض، ٢٠٠٤م، الجزء الثاني، صفحة ٧٧٥).

(1) د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، ص ٣٣٨.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية

هي دراسة الجانب الاجتماعي في حياة النـــاس مـــن الأمـــور ذات العلاقة الوثيقة بالظروف البيئية.

كان المجتمع الأندلسي مجتمعاً زراعياً قبل كل شيء يعتمد في حياته على الزراعة والأرض، ومن ثم تأتي التجارة والصناعة لتكملا ما تعجـــز الزراعة عن سده من حاجات السكان، وسبل إنتاج وســـائل العـــيش هـــذه بدرجاتها المختلفة من التطور لعبت الدور الأساسي فـــي بنـــاء المجتمـــع الأندلسي[١].

وإذا نظرنا إلى المجتمع الأندلسي من ناحية جمهرته وليس من ناحية قطاعات معينة منه وجدنا له ميزات باهرة وصفات طيبة تميزه عن كثيـــر من المجتمعات الإسلامية الأخرى ما بين علم ودين وثقافة ونظافة وأناقـــة وترتيب في أحوال المعيشة وحب للعدل وإنكار للفوضى وإجلال للعلمـــاء إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي إن توفرت في شعب من الشـــعوب وضعته في مرتبة سامية ودفعت به إلى مدارج التقدم والازدهار[٢].

وتميزت الحياة الاجتماعية في هذا المجتمع منذ البدء بالفهم الصحيح للمسؤولية الاقتصاديه وتقدير الكسب والتدبير في موازنة الدخل والخرج[٣]. على نحو قد يعده المشارقه بخلاً، ولكن هذا الوعي الجيد قد حمـــى البيئـــة

---

(١) د. صلاح خالص، أشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت –لبنان، ص ٢٤.

(٢) مصطفى الشكعه، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ص٧١.

(٣) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلســـي، دار الثقافـــة، بيـــروت – لبنـــان، ط١، ١٩٥٦م، ط٢ – ١٩٧٣م، ط٣ – ١٩٧٥م، ط٤ – ١٩٧٨م، ص ٢٤.

الأندلسية من الكديه[*]، لسقوط الاتكال في نظرهم، كما أبعد عنهم الإغراق في التصوف الاتكالي أو استحداث الدوريات والتكايا[١].

إن أهم ما جعل الوحدة البشرية في المجتمع الأندلسي ذات قوة تفوق ما كان من تعدد الأصول، كون العنصر البشري الذي يمثل أبرز عناصر المجتمع، هو العنصر العربي الممتزج على مر السنين بالعنصر الأسباني والمؤلف من هذا الامتزاج من هم أجدر سكان أسبانيا الإسلامية باسم الأندلسيين[٢]، والشعب الأندلسي كسائر الشعوب له صفاته الخاصة التي تميزه وتكشف عن طباعه وأخلاقه ومألوف عاداته.

ومن عاداتهم التي اشتهروا بها:

- **حب النظافة**: وعن هذه الصفة ينبئنا المقري[*] بقوله: "وأهل الأندلس أشد خلقاً اعتناءً بما يلبسون وما يفرشون".

(*) كل ما جمع من طعام أو تراب أو نحوه فجعل كثبه، وهي الكدايه وحفر فأكدى إذا بلغ الصلب وصادف كديه. وسأله فأكدى أي وجده كالكديه. ويقال أكدى أي ألح في المسألة وأنشد:

تضن فنعفيها، إن الدار ساعفت * فلا نحن نكديها ولا هي تبذل

ويقال لا يكديك سؤالي أي لا يلح عليك قالت الخنساء:

فتى الفتيان ما بلغو مداه * ولا يكدى إذا بلغت كداها

أي لا يقطع عطاءه ولا يمسك عنه إذا قطع غيره.(ابن منظور، ج١٣، ص ٣٦).

(١) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٢٤.

(٢) د. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط العاشرة، ١٩٨٦م، ص ٣١.

(*) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المالكي الأشعري نزيل فأس ثم القاهرة المشهور بالمقري ومن تصانيفه الكثيرة، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، "فتح المتعال في وصف النعال"، "أزهار الرياض في أخبار عياض". (رضا كحاله، معجم المؤلفين، ج١، ص ٢٤٩).

- **كراهيتهم للتسوُّل:** وعادة التسول مستقبحة عندهم إلى النهايـــة وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على العمل يستجدي الناس في الطرقات والأسواق سبوه وأهانوه.
- **زيَّهم:** ومن حيث الزي، فالغالب على أهل الأندلس تـــرك العمـــائم ولاسيما في شرق الأندلس، أما أهل غربها فلا تكاد ترى فيهم فقيهـــاً ولا قاضياً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة.
- والذؤابة لا يرخيها إلا العلماء، ولا يصرفونها بين الأكتـــاف وإنمـــا يسدلونها من تحت الأذن اليسرى.
- **شعار الحداد:** وإذا كان اللون الأسود هو شعار الحداد عند المشارقة، فإن شعار الحداد عند الأندلسيين هو اللون الأبيض[١].

ولعل كثرة عدد الشاعرات في الأندلس بالقياس إلـــى عـــددهن فـــي المشرق يعطي صورة توحي بأن نصيب المـــرأة الأندلســـية مـــن العلـــم والمعرفة والتحرك كان أكثر من نصيب أختها في المشرق، ولعـــل نـــدوة ولاده بنت المستكفي[*] تعتبر مثالاً لهذا اللون من النشاط النسائي وتحـــرك المرأة في الأندلس[٢].

على أن إسراف بعض النساء الأندلســيات علـــى أنفســـهن وعلـــى مجتمعهن لا ينقص من قيمة المرأة الأندلسية – في نطاق المجتمع الواسع – التي عرفت بالثقافة وإحسان تدبير شئونها والبت فـــي القضـــايا الخطيـــرة

---

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ١٤١.

(*) ولاده بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي، شاعرة أندلسية من بيت الخلافـــة، كانـــت تخالط الشعراء وتساجلهم، اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس وكانا يهويانها، وهي تود الأول وتكره الثاني حتى وقع بينهما ما وقع فكتب ابن زيدون رسالته التهكميه المعروفة. إلـــى ابـــن عبدوس وشعره فيه رقة وعذوبة.(الزركلي، الأعلام، ج٨، ص ١١٨).

(٢) مصطفى الشكعه، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار الملايين، ص ٤٦.

والمشكلات المستعصية وحل مشاكل المتقاضيين حين يستعصي على القاضي حلها.

ويأتي المقري بمثال لواحدة من هؤلاء النسوة وقد كانت زوجة لقاضي مدينة لوشه[*] الذي كثيراً ما كان يستعصي عليه الفصل في قضايا الناس فكان يدخل إلى زوجته يستنجد برأيها أو بالأحرى بحكمها فتشير عليه بما يحكم[١].

وكان يغلب على الحرائر من الأندلسيات الحجاب كأهل الشرق، بل ربما كان حجاب حرائر الأندلسيات أشد وأعنف، أما الإماء والسراري[*] فكان يتسامح معهن في الحجاب، ولما سفرت ولاده بنت المستكفي الأموي، وشاركت في الشعر والأدب، قوبل سفورها في المجتمع الأندلسي بشيء من الإستغراب![٢].

ومن المظاهر الغريبة أن بلاد الأندلس المليئة بوسائل المتعه، المترعه بأسباب اللذة يكون شعر الزهد فيها أضعاف مثيله في المشرق، ولكن بقليل من التدبر في هذه القضية سوف لا يبدو الأمر غريباً، لأن هناك ما يسمى برد الفعل، وقد كان الزهد في الأندلس ثم التصوف بعد ذلك ردة فعل شديدة ضد عدد وفير من أبنائها ذوي أصوات عالية مسموعة في الانغراق في المادية والابتعاد عن الروحية، فكان شيئاً طبيعياً وليس غريباً

(*) مدينة بالأندلس غربي البيره قبل قرطبه منحرفه يساراً، وهي مدينة طيبه على نهر سنجل وبينها وبين قرطبه عشرون فرسخاً.(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦).

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، الجزء السادس، ص ٣٠.

(*) جمع سريه، وهي الجاريه يتسراها مالكها، فإن ولدت منه سميت "أم ولد" وعندئذ لا يحل لسيدها بيعها ولا هبتها، وتبقى حلاً له طول حياته، فإذا مات صارت حره تجري عليها كل أحكام الحرائر، أما أولادها أحرار منذ ولادتهم.

(٢) د. عبد العزيز عتيق، الأدب الأندلسي، ص١٤٤.

أن يعلو قول ينادي بالزهد ويجأر بالشكوى من نداء الدنيا، فيهون من شأنها ويحقر من خطرها[1].

ويبدو أن عدد الزهاد في الأندلس كان من الكثرة بمكان حتى إن ابن بشكوال[*] قد صنف كتاباً بعنوان "زهاد الأندلس وأئمتها".

ومن العسير أن يحكم المرء بأن الأندلسيين أستعاروا هذا الموضوع من أبي العتاهيه[*] أو اقتبسوا تماماً فنه الشعري، لأن الزهد نزعه لها أصولها الاجتماعية وليست تجيء كلها إقتباساً[2].

وكان من أهم ظواهر المجتمع كذلك في تلك الفترة ظهور طبقة اجتماعية جديدة أصبح لها كيانها ومكانتها بين طبقات المجتمع الأندلسي، تلك الطبقة هي طبقة المولدين، التي تتألف من أبناء الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام. ولا شك أن وجود مثل هذه الطبقة قد زاد من الأكثرية المسلمة حينئذ، وصبغ الحياة الأسبانية بصبغة أكثر إسلامية وعروبة[3].

ومن صفات المولدين من النساء الأسبانيات الشجاعة والذكاء والجمال، وكان لهم في الأندلس تاريخ طويل، وقد حبب العرب في هذا الزواج ما عرف عن الأسبانيات والبربريات من جمال وبياض بشرة واصفرار شعر وزرقة عيون، وهي صفات يحبها العربي لأنها جديدة

---

(1) د. مصطفى الشكعه، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص ٧٥.

(*) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي، مؤرخ، بحاثه من أهل قرطبه ولادة وفاة (٤٩٤ – ٥٧٨هـ) (١١٠١ – ١١٨٣م). ولي القضاء في بعض جهات أشبيلية له نحو خمسين مؤلفاً أشهرها الصلة. (الزركلي، الأعلام، الجزء الأول، ص ٣٢).

(*) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني (من قبيلة عنزه) بالولاء أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهيه: شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع وهو يعد من مقدمي المولدين من طبقة بشار وأبو نواس وغيرهما. (الزركلي، الأعلام، الجزء الأول، ص ٣٢١).

(2) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبه، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ص١١٧.

(3) د. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط العاشرة، ١٩٨٦م، ص ٧٦.

عليه[١].وينبغي أن نذكر في هذه السانحة أن ميل الإنسان العربي إلى الزواج بالأسبانيات ساعد على تقويض الأندلس وضعف الروح الحربية لدى الإنسان العربي وميله إلى الترف والحياة الرغده ونسيانه حياة الفروسية والجهاد والاستشهاد[٢].

ومما هو جدير بالذكر أن بعض العادات الاجتماعية للمسلمين قد أخذها النصارى، ومن مظاهر تأثيرهم في المجتمع أن نبلاء قشتاله[*] وأعيانها كانوا يتزينون بأزيائهم، ويمارسون رياضتهم كالمبارزة بالسيف واللعب بالعصا.

وقد ظلت الحياة الاجتماعية في أسبانيا متأثرة تأثراً جوهرياً بالحياة الاجتماعية الإسلامية، واستمرت الريفيات محجبات طوال عدة قرون وخاصة الأندلسيات منهن، فكانت تسليتهن الكبرى أن يطللن من نوافذ بيوتهن عبر ستار أو ضلفة، كي يشاهدن في الخارج حياة تختلف كل الاختلاف عن حياتهن المنزلية[٣].وليس غريب أن يتأثر الأسبان بعادات وتقاليد المسلمين لأن المسلمين آنذاك اشتهروا بحبهم للعلم وتشجيعهم للآداب والثقافة العامة، كذلك تنافسوا في إحياء العلوم تنافساً عظيماً، مما أدى إلى تقدماً كبيراً وأينعت الفنون، وازدهرت المدن بآيات الفن[٤].

---

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٦م، بيروت، ص ١٣٥.

(٢) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ص ٥٤.

(*) إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطه وجميعه اليوم بيد الإفرنج.(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٥٣).

(٣) د. هشام أبو رميله، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانيه والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان الطابعون، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان – الأردن، ط، ١٩٨٤م، ص ٣٦٢.

(٤) حسن خليفه، تاريخ العرب في أفريقيه والأندلس، مطبعة الإعتماد بشارع حسن الأكبر، ط، ١٩٨٣م، ص ٢٣١.

الفصل الثاني
أغراض الشعر
عند الإلبيري

المبحث الأول الزهد

المبحث الثاني الوعظ

المبحث الثالث الرثاء

المبحث الرابع أغراض مختلفة

المبحث الأول
الزهد

إن الزهد في الدنيا معنى جليل، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة، فهو خير معين للتفرغ للعظائم، وأقوى محقق لمعاني القوة في النفس والعقل والبدن، وأكبر عامل على صفاء القلب، وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الحسد والغل، وأدعى شيء للعفاف، والترفع عن السفاسف والدنيه، وإلى عزة النفس، والصدع بالحق ومقاومة الشر[1].

- **معنى الزهد:**

تدل مادة الزهد في اللغة العربية على عدم الرغبة في الشيء والعزوف عنه وكذلك على القلة في إمتلاك الأشياء. جاء في لسان العرب "الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا". والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة[2].

وفي تاج اللغة الزهد خلاف الرغبة. تقول زهد في الشيء وعن الشيء يزهد زهداً وزهادةً. والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، يقال رجل زهيد الأكل وواد زهيد قليل الأخذ للماء، ويقال خذ زهد ما يكفيك أي قدر ما يكفيك[3] أما القاموس ففيه: "زهد أو زهاده: أو هي في الدنيا. والزهد في الدين ضد رغب، والزهد القليل، والتزهيد ضد الترغيب[4] ولم

---

(1) الإمام الزاهد هناد بن السري، الزهد، تحقيق: محمد أبو الليث، ج١، ص ٨.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، مادة زهد، دار صادر بيروت، ص ٦٨.

(3) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط الثانية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ج٢، ص ٤٨١.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، مادة زهد، ج١، ص ٢٠٩.

يرد لفظ الزهد في القرآن الكريم سوى مرة واحده[1] في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[2].

يقول الشوكاني[*] في تفسير هذه الآية: "يقال زهدت بفتح الهاء وكسرها". قال سيبويه[*] والكسائي[*]: قال أهل اللغة: يقال زهد فيه أي رغب عنه... والمعنى أنهم كانوا فيه من الزاهدين عنه الذين لا يبالون فلذلك باعوه بالثمن البخس[3].

ولقد أوضح الرسول ﷺ المقصود الحقيقي من الزهد حين قال: "الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك"[4].

---

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، دار النشر الهيئة المصرية العامة، مجلد ٢، ص ١٨.

(2) سورة يوسف الآية (٢٠).

(*) أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بالشوكاني، ولد سنة ١١٧٣م وتوفى عام ١٢٥٠م ومن تأليفه الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة وغيرها.

(إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ط ١٩٩٥م، ص ٣٦٥).

(*) عمر بن عثمان وسيبويه لقب معناه رائحة التفاح ذكر صاعد بن أحمد في كتابه قال: لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فأشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطا طاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢١٢٤).

(*) هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، مات سنة اثنين أو ثلاث وثمانين فقال الرشيد اليوم دفنت الفقه واللغة العربية.(ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص ١٧٣٩).

(3) فتح القدير، ط٢، القاهرة، مصطفى محمد البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٤م، ج٣، ص ١٣.

(4) الإمام الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، ط ١٩٩٩م، دار الحديث القاهرة، كتاب الزهد، ج٤، ص ٣٠٠.

وقد أورد الإمام القشيري(*) أقوالاً كثيرة في معنى الزهد علـــى نحـــو أربعين قولاً لبعض الزهاد والصوفيه، ومن أولئك الزاهد المجاهد عبد الله ابن المبارك(*) والزهد عند ابن المبارك "هو الثقة بالله تعالى وحب الفقر"(١).

وقد بين الإمام الزهري(*) إن من معاني الزهد الحقيقي أن تشـــكر الله تعالى على ما رزقك من الحلال، وأن تحبس نفسك عن طلب الحرام قانعاً بما قسم لك فقال: حين سأل عن زهد المسلم: "هو أن لا يغلب الحلال شـــكره ولا الحرام صبره"(٢).

أما الإمام الغزالي(*) فقد حدد معالم الزهد وبين حقيقته. يقول شـــارحاً معنى الزهد: "هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع فإنما عدل عنه لرغبته عنه،

(*) عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري، ولد سنة ستة وسبعين وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وستين وأربعمائة، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص ٨٣).

(*) أبو عبد الرحمن المروزي، كان من الربانين في العلم الموصوفين بالحفظ وقد جمع الحديث والفقه والعربية، وأيام الناس، والشجاعة.\(الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص ١٥٥).

(١) الرسالة القشيرية، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم محمود، دار الكتب الحديثة، ص ٢٩٢.

(*) أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة كان مولده سنة ٥١هـــ ووفاته سنة ١٢٤هـــ ودفن في ضيعة أدامي. (ابن العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية بيروت، ج٤، ص ٣٢).

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمد محمـــود الطنـــاجي وطـــاهر أحمـــد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج٢، ص ٣٢١.

(*) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي، ولد سنة ٤٥٠ وتوفى ٥٠٥هـــ ومن مصنفاته وهي كثيرة إحياء علوم الدين. (إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ص ٨٠).

وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره فحاله بالإضافة إلى المعــدول يســمى زاهداً، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبةً حباً"[1].

والمتأمل في هذه التعريفات التي أوردنا يجد أنها تدور حول الإعراض عن الدنيا والتهوين من شأنها وعدم الإنشغال عن الله تعالى، والرضاء التــام بما قسمه الله عز وجل، وشكره في كل حال، وأن يكون ذلك نابعاً من إيمان متين واعتقاد قوي، فالزهد في الأساس تفريغ القلب من حب الدنيا وشهواتها وامتلاؤه بحب الله والتوجه إليه[2].

والزهد ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعاً في كسر بيت، وجمــوداً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال.

ولا كما يخيل للتافهين الجاهلين هو الذله والمسكنه، والفقر والمتربــه، والضعف والحاجة، والكسل اللاصق بالأرض القانع بالدون من الحياة[3].

فضائل الزهد:

وللزهد فضائل جمة، فيكفي أنه زينة الأنبياء والمرسلين، والصــديقين والشهداء والصالحين، وإنه سبب لكل خير، وصل إليه العلمــاء العــاملون، والفقهاء المخلصون، وإنه منبع للاقتصاد المبني على تعاليم الإسلام وأحكامه، وإذا نظرنا للقرآن الكريم نجده قد امتلأ بزاد كبير في الدلالة على حب الآخرة والسعي لها، كذلك سنة نبينا محمد ﷺ زاخره بزاد عظيم في هذا المجــال، هذا عدا أقوال السلف الصالح[4].

---

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، ط الأولى القاهرة، دار إحيــاء الكتــب العربيــة، ١٩٥٧م، ج٤، ص ٢١١.

(2) عبد القادر عيسى، انظر حقائق عن التصوف، ط الثالثة عشر والأولى لدار المقطم، ١٤٢٦هــ - ٢٠٠٥م، ٥٠ شارع الشيخ ريحان عابدين، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ص ٢٢٩.

(3) الإمام الزاهد هناد السري، الزهد، تحقيق: محمد أبو الليث، ج١، ص ٣٤.

(4) المصدر السابق، ص ٣٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾. (سورة الإسراء: ١٩).

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾. (سورة العنكبوت: ٦٤).

﴿... قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴾. (سورة النساء: ٧٧).

ومن الأحاديث الشريفة:

حديث سهل بن سعد الساعدي، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله أزهد فيما عند الناس يحبك الناس"[١].

ومن الأثر:

قال الحسن البصري[*]: "أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه، وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط، كان إذا أراد النوم باشر الأرض وجعل ثوبه فوقه"[٢].

علامات الزهد:

---

(١) سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي، ج٤، ص ١٣٧٣.

(*) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، هو ابن مولى من ميسان، ولد سنة ٢١هـ – ٦٤٢م، ومن آثاره تفسير القرآن وتوفى في البصرة ١١٠هـ – ٧٢٨م.

(فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج١، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي، وراجعه: د. عرفه مصطفى، ط ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ٩).

(٢) عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده، ص ٩٣.

قد يسأل سائل: إذا كان هذا هو معنى الزهد وفضيلته والأدلة عليه، فكيف يشعر به الإنسان وما هي علامته؟

والجواب على ذلك إن للزهد علامات حصرها الإمام الغزالي في ثلاث:

أولاً: أن لا يفرح الإنسان بموجود، ولا يحزن على مفقود، ويوضح هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾. (سورة الحديد: ٢٣).

ثانياً: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، وهذه علامة الزهد في الجاه.

ثالثاً: أن يكون أنسه بالله تعالى، والقالب على قلبه حلاوة الطاعة[١].

ودرجات الزهد: للزهد ثلاث درجات:

إحداها: الزهد للنجاة من العذاب والحساب والأهوال التي بين يدي الآدمي وهذا زهد الخائفين.

وثانيتها: الزهد للرغبة في الثواب والنعيم الموعود به، وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء تركوا نعيماً لنعيم.

وثالثتها: وهي العليا، وهو أن لا يزهد في الدنيا للتخلص من الآلام وللرغبة في نيل اللذات، بل طلب لقاء الله تعالى، وهذا زهد المحسنين العارفين[٢].

يطول الحديث لو شئنا إستقصاء عناصر الزهد في شعر أبي إسحاق الألبيري والتدليل عليها ولكننا نجمل تلك العناصر في أشياء رئيسية لأن معظم ديوان الألبيري طابعه الزهد.

---

(١) الإمام هناد بن السري، الزهد، ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

فمن ذلك التنفير من الإنغماس في الدنيا، والدنيا عنده عدو شرس يتخايل للإنسان في صورة مغريه مغويه، والذكي السعيد هو الذي لا يخضع لإغراء منها أو إغواء فالدنيا لا يؤسف على شيء منها[1].

قال الإلبيري:

وَما آسى عَلى الدُنيا ولَكِن *** عَلى ما قَد رَكِبتُ مِنَ الذُنوبِ[2]

هناك حديث نبوي معناه أن هذه الدنيا لا تسوى شيئاً عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما أعطى كافر منها شيئاً"[3].

فهي في نظر الشاعر كما وصفها الحديث لا تسوى شيئاً ولكن ما يؤرق مضجعه ويطرد النوم من عينه هو ارتكابه للمعاصي والذنوب.

والدنيا تناديه فيعرض عنها:

نادَت بِيَ الدُنيا فَقُلتُ لَها اِقصِري *** ما عُدَّ في الأَكياسِ مَن لَبّاكِ

مازِلتِ خادِعَتي بِبَرقٍ خُلَّبٍ *** ولَو اِهتَدَيتُ لَما اِنخَدَعتُ لِذاكِ[4]

فالشاعر هنا يرفض الدنيا بزينتها وبهجرها ويرى إن من يستجيب لها لا يعد من العقلاء ولعله اقتبس هذا الكلام من حديث رسول الله ﷺ الذي يقول: عن شداد بن أوس قال: قال: "رسول الله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله"[5].

---

(1) د. محمد رضوان الدايه، في الأدب الأندلسي، ص ٨٩.

(2) الإلبيري ،ديوانه ، حققه: محمد رضوان الدايه، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ص ٣٧.

(3) الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى، ٢٠٠١م، ج١، ص ٣٧٢.

(4) الإلبيري ديوانه، ص ٤٠.

(5) الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الناشرون دار سحنون، الطبعة الثانيه، الجزء ٤، ص ١٢٤.

ويذهب الشاعر إلى أبعد من ذلك في ذم الدنيا فيراها أمّاً غير حانية تأكل أبناءها إذ يقول:

لا كُنتِ مِن أُمٍّ لَنا أَكّالَةٍ *** بَعدَ الوِلادَةِ ما أَقَلَّ حَياكِ[1]

ولعمري إنه وصفٌ قبيح تشمئز منه النفوس وتنفر منه الطباع السوية. ويمضي قائلاً:

وَجَلالِ رَبّي لَو تَصِحُّ عَزائِمي *** لَزَهِدتُ فيكِ وَلِابتَغَيتُ سِواكِ

وَأَخَذتُ زاديَ مِنكِ مَن عَمَلِ التُقى *** وَشَدَدتُ إيماني بِنَقضِ عُراكِ

وَحَطَطتُ رَحلي تَحتَ أَلوِيَةِ الهُدى *** وَلَمّا رَآني اللَهُ تَحتَ لِواكِ[2]

والواو في صدر البيت للقسم والشاعر أقسم للدنيا أنه لو صحت عزائمه واستطاع كبح جماح نفسه لزهد فيها وطلب غيرها لقناعته بعدم فائدتها.

والدنيا كما وصفها القائد الفاتح والصحابي الجليل عمرو بن العاص[*] بأنها: "جيفة لا يتقاتل عليها إلا الكلاب من البشر"[3].

فبالرغم من أن الإلبيري لا يعير الدنيا أدنى اهتمام فهو لا يقيم فيها ذليلاً ويدعو بني جنسه إلى عدم الإقامة على الذل والهوان إذ يقول:

وَلا تَلبَث بِحَيٍّ فيهِ ضَيمٌ *** يُميتُ القَلبَ إِلا إِن كُبِّلتا

وَغَرِّب فَالغَريبُ لَهُ نَفاقٌ *** وَشَرِّق إِن بَريقَكَ قَد شَرِقتا

([1]) الإلبيري، ديوانه، ص ٤١.

([2]) المصدر السابق، ص ٤٣.

(*) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولى الرأي والحزم والمكيدة فيهم، أسلم في هدنة الحديبية، الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٧٩.

(فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج١، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي، وراجعه: د. عرفه مصطفى، ط ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٩).

([3]) الرافعي، الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، عبد الستار علي السطوحي، دار الإعتصام، ص ٢٠٤.

وَلَو فَوقَ الأَميرِ تَكونُ فيها *** سُمُوّاً وَاِفتِخاراً كُنتَ أَنتا[1]

وهذا المعنى تطرق له الشاعر الفحل ذو الأصبع[*] العدواني في بعض قصائده، ولعل الإلبيري كان قارئاً جيداً للشعر الجاهلي وأيام العرب يقول ذو الأصبع:

عَفٌّ يَؤوسُ إِذا ما خِفتُ مِن بَلَدٍ *** هوناً فَلَستُ بِوَقّافٍ عَلى الهونِ

والله لو كرهت نفسي مصاحبتي *** لقلت إذ كرهت قربى لها بيني[2]

وفي شعر المتلمس[*] هذا المعنى ويجري كلامه مجرى المثل إذ يقول:

لَن يُقيمَ عَلى خَسفٍ يُسامُ بِهِ *** إِلاّ الأَذَلاّنِ عَيرُ الأَهلِ وَالوَتِدُ

هَذا عَلى الخَسفِ مَربوطٌ بِرُمَّتِهِ *** وَذا يُشَجُّ فما يَرثي لَهُ أَحَدُ[3]

كذلك من عناصر الزهد التي تحدث عنها الألبيري ونبه إليها التذكير بالموت، وأنه لا بد منه، والتذكير بالآخرة الآتية لا محالة فالدنيا ممر وليست مقراً ومن شعره في هذا الاتجاه.

تُغازِلُني المَنيَّةُ مِن قَريبِ *** وَتَلحَظُني مُلاحَظَةَ الرَقيبِ

وَتَنشُرُ لي كِتاباً فيهِ طَيِّي *** بِخَطِّ الدَهرِ أَسطُرُهُ مَشيبي

كِتابٌ في مَعانيهِ غُموضٌ *** يَلوحُ لِكُلِّ أَوّابٍ مُنيبِ[4]

---

(1) الإلبيري ،ديوانه، ص ٣٥.

(*) هو حرثان بن الحارث بن محرث من مضر، شاعر حكيم جاهلي لقب بذي الأصبع لأن حيه نهشت أصبع رجله فقطعها وشعره مليء بالحكمة والموعظة والفخر.(الزركلي، الأعلام، الجزء٢، ص ١٧٣).

(2)الضبي ، ديوان المفضليات، ط بيروت – كلية إكسفورد، ١٩٢٠م، ص ٣٢١.

(*) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر أنه أشعرهم وهم المتلمس، والمسيب بن علس، وحصين بن الحمام.

(الشيخ عبد الرحيم أحمد العباس، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت، ج١، ص ٣١٢).

(3) ديوان المتلمس الضبعي، عني بتحقيقه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ط٢، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٧/٦/١٣م، ص ٢٠٠.

(4) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٦.

فالإلبيري لم يكن له قصب السبق في تناوله لهـذا الموضـوع فنجـد الحديث عن الموت وانقضاء الحياة، والتذكير بالأمم السابقة في بعض أشعار طرفه ابن العبد[*] إذ يقول:

أَرى قَبـرَ نَحّـامٍ بَخيـلٍ بِمالِـهِ *** كَقَبرِ غَـويٍّ فـي البَطالَـةِ مُفسِـدِ
تَرى جُثوَتَينِ مِن تُـرابٍ عَلَيهِمـا *** صَفائِحُ صُمٌّ مِـن صَـفيحٍ مُنَضَّـدِ
أَرى المَوتَ يَعتامُ الكِرامَ وَيَصطَفي *** عَقيلَـةَ مـالِ الفـاحِشِ المُتَشَـدِّدِ
أَرى العَيشَ كَنزاً ناقِصاً كُلَّ لَيلَـةٍ *** وَما تَـنقُصِ الأَيّـامُ وَالـدَهرُ يَنفَـدِ
لَعَمرُكَ إِنَّ المَوتَ ما أَخطَأَ الفَتـى *** لَكَالطِوَلِ المُرخـى وَثِنياهُ بِاليَـدِ[1]

والفكره عند كلا الشاعرين تدور حول الموت وإنـه واقـع لا محالـة فيجب على الإنسان أن يستعد لما هو آت، ولا يترك نفسه التي بين جنبيه التي تتقاذفها الأهواء فترمي بها في مهاوي الردى والهلاك.

أيضاً تحدث الإلبيري عن المال وسفهه وأعلى من شأن العلم ووصف الذين يفضلون المال على العلم بالجهل والشاعر محق في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فضل هذا عن ذاك إذ يقول:

يقول الله تعالى: ﴿... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾. (سورة المجادلة: ١١).

ويقـــول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾. (العنكبوت: ٤٣).

ويقـول: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾. (سـورة الزمر: ٩).

(*) طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ولد في بادية البحرين وتنقـل في بقاع نجد وكان هجاءاً غير فاحش القول تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره.
(الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢٢٥).

(1) أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السـلام محمد هارون، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٢٠١.

وهناك حديث يقول فيه الرسول ﷺ: "الناس عالم ومتعلم، وما بين ذلك همج لا خير فيه"[١].

يقول الإلبيري:

أَبـا بَكـرٍ دَعَوتُـكَ لَـو أَجَبتـا *** إِلـى مـا فيـهِ حَظُّـكَ إِن عَقَلتـا
إِلـى عِلـمٍ تَكـونُ بِـهِ إِمامـاً *** مُطاعـاً إِن نَهَيـتَ وَإِن أَمَرتـا
وَيَجلو ما بِعَينِكَ مِـن عَشـاها *** وَيَهـديكَ السَـبيلَ إِذا ضَـلَلتا
وَتَحمِلُ مِنـهُ فـي ناديـكَ تاجـاً *** وَيَكسـوكَ الجَمـالَ إِذا اِغتَرَبتـا
يَنالُـكَ نَفعُـهُ مادُمـتَ حَيّـاً *** وَيَبقـى ذُخـرُهُ لَـكَ إِن ذَهَبتـا
إِذا مـا لَـم يُفِـدكَ العِلـمُ خَيـراً *** فَخَيرٌ مِنـهُ أَن لَـو قَـد جَهِلتـا[٢]

فالشاعر يدعو من كناه أبا بكر إلى العلم والسيرفي طريقه، ومن خلال قراءة الآيات السابقة والحديث الشريف يتضح لنا أن الدنيا تدور على فلكين عالم ومتعلم وما سواهما رجرجة يزحمون الأسواق ويغلون الأسعار فهم غثاء لا يرجى منه.

وكما يقولون الشيء بالشيء يذكر نذكر هنا بعض قصيدة أبي مروان[*] عبد الملك بن إدريس لتوارد الخواطر بينه والألبيري في هذه الأبيات فكلاهما يعليان من شأن العلم:

وَاِعلَم بِأَنَّ العِلـمَ أَرفَـعُ رُتبَـةٍ *** وَأَجَلُّ مُكتَسَـبٍ وَأَسـنى مَفخَـرِ
وَبِضُمَّرِ الأَقـلامِ يَبلُـغُ أَهلُهـا *** ما لَيسَ يُبلَـغُ بِالجِيـادِ الضُـمَّرِ
وَالعِلـمُ لَـيسَ بِنـافِعٍ أَربابَـهُ *** ما لَم يُفِد عَمَلاً وَحُسنَ تَبَصُّـرِ[٣]

([١]) أبو محمد عبد الله بن محمد عبد الرحمن الدرامي، سنن الدار في سلسلة مطبوعات السنة النبوية، ط ١٩٩٦م، ج١، ص ٨٠.

([٢]) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٥.

(*) هو عبد الملك بن إدريس الجزيري وزير أندلسي من الكتاب وهو من أهل قرطبه له أشعار ورسائل كثيرة مدونة.(الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ١٥٦).

([٣]) أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ج٢، ص١١٧.

وهناك مفاضلة عجيبة وغاية في الروعة للإمام الشافعي(*) فهو يرى أن سهره من أجل العلوم ومدارستها أطيب له من معانقة تلك الغانيه التي استغنت بجمالها عن الحلي إذ يقول:

سَهَري لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي *** مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِ
وَصَريرُ أَقلامي عَلى صَفَحاتِها *** أَحلى مِنَ الدَوكاءِ(*) وَالعُشّاقِ
وَتَمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ *** في الدَرسِ أَشهى مِن مُدامَةِ ساقِ[1]

من خلال ما ذكر يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك إن المفاضلة بين العلم والمال معدومة، والبون بينها شاسع.

مازال الحديث للإلبيري إذ يقول:

وَإِن أَلقاكَ فَهمُكَ في مَهاوٍ *** فَلَيتَكَ ثُمَّ لَيتَكَ ما فَهِمتا
سَتَجني مِن ثِمارِ العَجزِ جَهلاً *** وَتَصغُرُ في العُيونِ إِذا كَبُرتا
وَتُفقَدُ إِن جَهِلتَ وَأَنتَ باقٍ *** وَتوجَدُ إِن عَلِمتَ وَقَد فُقِدتا
وَلَيسَ لِجاهِلٍ في الناسِ مَعنىً *** وَلَو مُلكُ العِراقِ لَهُ تَأَتّى
جَعَلتَ المالَ فَوقَ العِلمِ جَهلاً *** لَعَمرُكَ في القَضِيَّةِ ماعَدَلتا
وَبَينَهُما بِنَصِّ الوَحيِ بَونٌ *** سَتَعلَمُهُ إِذا طَهَ قَرَأتا[2]

فهنا يرسل الألبيري رسالة واضحة الدلالة مفادها أن العلوم التي يتعلمها الإنسان يجب أن تنعكس في سلوكه وأدبه، ويخبرنا كذلك أن الجاهل لا معنى له بين أفراد المجتمع والعلم هو المطلوب بدليل قوله تعالى: ﴿... وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾. (سورة طه: ١١٤). أيضاً يقول أن الجاهل يفقد وهو

(*) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع وهو أول من تكلم في أصول الفقه، كان مولده سنة خمسين ومائة وقيل أنه ولد في اليوم الذي توفى فيه الإمام أبو حنيفة، وفيات الأعيان، ابن الخلكان، ج٤، ص ٢١.

(*) الدوكاء: دق الشيء وسحقه وطحنه كما يدوك البعير الشيء بكلكله.

(1) ديوانه، تحقيق: محمد عفيفي الزغبي، ١٩٧٠م، ص ٤٥.

(2) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٧.

موجود لعدم تأثيره في المجتمع والمتعلم إن غاب فهو موجود لأن آثاره باقية، وهنا يحضرني بيت الحارث(*) ابن حلزة:

آذَنَتنــــــا بِبَينِهـــــا أَســــــماءُ *** رُبَّ ثــاوٍ يُمَــلُّ مِنــهُ الثَــواءُ[1]

آذنتنا بمعنى أنها أخبرتنا بفراقها وهو يهمنا أكثر من إقامة الآخــرين، فرب ثاوٍ جاهل في المجتمع أفضل منه عالم رحل وفارق الحياة لأن ما ينتفع به من علمه باقي.ومن المحدثين الذين فاضلوا بين العلــم والمــال الشــاعر محمود سامي(*) البارودي إذ يقول:

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْــوَى شَــوْكَةُ الأُمَــمِ *** فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَــمِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ *** سَبْقُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ
وَلا تَظُنُّوا نَمَاءَ الْمَــالِ وَانْتَسِــبُوا *** فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَــا يَحْوِيــهِ ذُو نَسَــمِ
فَرُبَّ ذِي ثَرْوَةٍ بِالْجَهْــلِ مُحْتَقَــرٍ *** وَرُبَّ ذِي خَلَّــةٍ بِــالْعِلْمِ مُحْتَــرَمِ[2]

(*) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي: شاعر جاهلي من أهل بادية العــراق وهو أحد أصحاب المعلقات وفي الأمثال، فخر بن الحارث بن حلزة.(الزركلــي، الأعــلام، ج٢، ص ١٥٤).

(1) ديوانه ، شرح: مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٣.

(*) هو محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصــري أول نــاهض بالشــعر العربي من كبوته وأحد القادة الشجعان جركسي الأصل، ولد عــام ١٨٣٩م، وتــوفى عــام ١٩٠٤م، بالقاهرة من آثاره ديوان شعر، ومختارات البارودي أربعة أجــزاء.(الزركلــي، الأعــلام، ج٧، ص ١٧١).

(2) البارودي، ديوانه، شرح: علي عبد المقصود عبد الرحيم، دار الجيل، بيروت، الطبعــة الثانيــة، ٢٠٠٢م، ص ٤٥٩.

المبحث الثاني
الوعظ

المواعظ باب لصيق بالخطب، لأن الموعظة هي الهدف الأول للخطيب الديني، وهي المادة التي تقوم عليها خطبته، وكــل الخطبــاء يجــدون مــن الموعظة وضرب الأمثال ما يستهوي قلوب السامعين، وكثيراً ما يســتعملها غير الخطباء في مجالس الصلح والتوفيق بين الناس، ويستعملها أيضاً الزهاد والنساك ودعاة الإصلاح أمام الخلفاء والحكام(1).

وتدل مادة وعظ في اللغة العربية على النصح والتذكير بالعواقب وهي تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه، ويقال: السعيد من وعظ بغيره والشــقي مــن اتعظ به غيره(2)، وفي المنجد وعظ: نصح له أي ذكره ما يحمله على التوبة إلى الله وإصلاح السيرة(3)، وفي تاج العروس الوعظ هو التذكير في الخيــر بما يرقق القلب(4)، أما القاموس ففيه وعظه يعظه وعظاً وعظــةً وموعظــةً بمعنى ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ(5). وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجده جاء بعديد من المواعظ مثل قولــه تعــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾. (سورة لقمان: ٣٣).

---

(1) د. عبد الجليل عبده شلبي، انظر الخطابه وإعداد الخطيب، دار الشــروق، القــاهرة، ١٦ شــارع جواد حسني، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٣٧٤.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، سنة ١٩٩٠م،ص ٣٤٥.

(3) المنجد في اللغة، الطبعة السادسة والعشرون، دار المشرق بيروت، ص ٩٠٨.

(4) الإمام اللغوي محب الدين بن الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيــدي، ج٥، ص ٢٦٦.

(5) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب التراث مؤسسة الرسالة، ص ٦٩٩.

وكذلك السنة النبوية إذ يقول الرسول ﷺ في الحديث: "أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم"(١).

وجاء في الأثر أن علي كرم الله وجهه قال: "من أراد الغنى بغير مال، والكثرة بلا عشيرة فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة، أبى الله إلا أن يذل من عصاه"(٢).

قال الأستاذ الزاهد أبو إسحاق الإلبيري:

كُلٌّ اِمرِئٍ فيما يَدينُ يُدانُ *** سُبحانَ مَن لَم يَخلُ مِنهُ مَكانُ
يا عامِرَ الدُنيا لِيَسكُنَها وَما *** هِيَ بِالَّتي يَبقى بِها سُكّانُ
تَفنى وَتَبقى الأَرضُ بَعدَكَ مِثلَما *** يَبقى المُناخُ وَتَرحَلُ الرُكبانُ
أَأُسَرُّ في الدُنيا بِكُلِّ زِيادَةٍ *** وَزِيادَتي فيها هِيَ النُقصانُ(٣)

هذه الأبيات تدور حول حقيقة الموت وعدم الخلود في الدنيا، فهي تنبيه وتحذير، وفي البيت الأول شطران كل منهما مستقل بمعنى من الحكمة فالإنسان كما يدين يدان، والله سبحانه وتعالى في كل مكان وهو لا يحده مكان ولا زمان، والدنيا فانية يعمرها الإنسان قليلاً ويمضي سريعاً، فالإلبيري يسائل نفسه كيف أسر بمرور كل يوم وإنما هو يأخذ من رصيد عمري، وفي المثل العربي: "كما تدين تدان"(٤)، أي كما تفعل يفعل بك، والدين: الجزاء يقال دنت فلان بما صنع أي جزيته، ففي كلامه تحذير من الانغماس في الدنيا

---

(١) الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ج٩، ص ٣٢١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ب ت، ج٣، ص ٨٣.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ١٤٠.

(٤) لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٢م، ص ١٣٢.

ولفت رقيق بعبارة لطيفة ويختلف هذا الكلام عن قــول أبــي العتاهيــه(*) إذ يقول:

لــدوا للمــوت وابنــوا للخــراب *** فكلكــم يصــير إلــى تبــاب[1]

فكلام الأخير فيه تيئيس ونظرة سوداوية ومثل هذا لا ينبغي أن يكــون من الوعاظ الذين يعظون الناس، فيحكى أن الرشيد كره أن يسمع غلظة مــن واعظ جاءه، وقال: أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملهــا، قــال الرشيد: كلا، إن الله أمر من هو خيراً منك بإلانة القول لمن هو أشر مني[2].

وفي البيت الثالث يصف الإنسان بأنه يرحل من الدنيا ويتركهــا مثــل المناخ وهو مبرك الإبل والركبان جمع راكب وهو الذي يعلو ظهر البعير.

أما البيت الرابع فمعناه متداول بين الشعراء وأشهر من تناولــه أبــو الفتح(*) البستي في قصيدته المشهورة:

زيادَةُ المَرء في دُنيــاهُ نقصــانُ *** وربْحُهُ غَيرَ محض الخَير خُسرانُ[3]

يقول الإلبيري:

أَدالَ الشَيبُ يــا صــاحِ شَــبابي *** فَعُوِّضتُ البَغيضَ مِــنَ الحَبيــبِ

وَبَدَّلتُ التَثاقُــلَ مِــن نَشــاطي *** وَمِن حُسنِ النَضــارَةِ بِالشُــحوبِ

فَيا لَهَفي عَلى طولِ اِغتِــراري *** وَيا وَيحي مِنَ اليَومِ العَصــيبِ[4]

(*) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني من قبيلة عنزه شاعر مكثر سريع الخاطر فــي شــعره إبداع وهو من مقدمي المولدين. (الزركلي، الأعلام، ج١، ص ٣٢١).

(١) ديوانه، ط دار صادر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص ٤٦.

(٢) د. عبد الجليل عبده شلبي، الخطابه وإعداد الخطيب، ص ٣٧٧.

(*) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد عبد العزيز الشافعي، أديــب وكاتــب تــوفى ٤٠١هـ البغدادي، هدية العارفين، ص ٦٨٥.

(٣) قصيدته عنوان الحكم، ضبطهاوعلق عليها عبد الفتاح أبو عزة، بيروت – لبنان، ط ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص ٢٦.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٦.

في الأبيات السابقة يتحدث الشاعر عن الشيب، ويقول إنني بدلت ما أحب بما أكره ويتحسر على اغتراره بالدنيا ويرثي نفسه من يوم القيامة وأهواله، فالدنيا لا تستحق أن يجري وراءها العاقل بل يجب عليه ألا يركن لها، يقول الفضيل بن عياض(*): "لو إن الدنيا بحذافيرها عرضت علي ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه"[١].

أيضاً نرى أبا العتاهية أشد حسرةً على شبابه، يبكيه بكاء حاراً ويفزع من المشيب فزعاً شديداً ويراه علامة الموت ومقدمته يقول في ذلك:

فَزِعتُ إِلى خِضابِ الشَيبِ مِنهُ *** وَإِنَّ نُصولَهُ فَضَحَ الخِضابا
وَما مِن غايَةٍ إِلا المَنايا *** لِمَن خَلِقَت شَبيبَتُهُ وَشابا[٢]

ولكن للوراق(*) موقف آخر من الشيب فهو يبكيه ويتخذ منه نذيراً للموت وقرب الأجل، ويرى إنه إذا ما غذا الشيب رأس الإنسان، لم يبق له إلا الموت، وهذا هو حال الدنيا الإنتقال من حال إلى حال.

يقول:

بَكَيتُ لِقُربِ الأَجَلِ *** وَبُعدِ فَواتِ الأَمَلِ
وَوافِدِ شَيب طَرا *** بِعَقبِ شَبابٍ رَحَلِ

(*) ابن مسعود بن بشر، التميمي، الطالقاني الأصل، الزاهد المشهور كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق، كان مولده بأبيورد ومات سنة سبع وثمانين ومائة.(ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: د. يوسف علي طويل، ط١، ١٩٩٨م، ج٣، ص ٤٨٣).

(١) الإمام القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام عبد الحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ط١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص ٤٨.

(٢) ابو العتاهية ، ديوانه ، ص ٢١.

(*) هو محمود بن حسن الوراق، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم وهو صاحب البيت المشهور:

إِذا كانَ وَجهُ العُذرِ لَيسَ بِبَيِّنٍ *** فَإِنَّ اِطِّراحَ العُذرِ خَيرٌ مِنَ العُذرِ

(الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ١٦٧).

شَـــــبابٌ كَـــــأَن لَـــــم يَكُـــــن *** وَشَـــــيبٌ كَـــــأَن لَـــــم يَـــــزَلِ[1]

فالبكاء هنا أظنه ليس حزناً على النفس، بل هو فرحة اللقـــاء بربـــه، وانتصاره عليها، بفقدان الأمل في الدنيا وابتعادها عن الأمـــاني فيهـــا مـــن شواغل الحياة.

يقول الإلبيري:

إذا لم يكن فهمي إلى الخير قائدي *** فلا كان فهمي لا ولا كان تمييـــزي

تطلبت أخوان الصـــفاء فوجـــدتهم *** زيوفاً كأعمالي ومن لـــي بـــإبزيز[2]

الشاعر في هذه الأبيات يرى أن الفهم ينبغي أن يدل على الخيـــر وإلا فلا فائدة فيه، ثم ربط في البيت الثاني بين صداقة الأصحاب الزائفة والأعمال غير المقبولة أي غير الصالحة وشبهها بالدراهم الزيـــوف وهـــي المـــردودة لغش.

وهذا الكلام يشبه إلى حد كبير قول أبي العتاهيه:

وَكَيفَ تُريدُ أَن تُـــدعى حَكيمـــاً *** وَأَنتَ لِكُـــلِّ مـــا تَهـــوى رَكـــوبُ

أَتَطلُبُ صاحِباً لا عَيـــبَ فيـــهِ *** وَأَيُّ الناسِ لَـــيسَ لَـــهُ عُيـــوبُ[3]

فكلام الشاعر واضح ففيه استحالة بوجود الصديق الذي لا عيب فيـــه ويؤيد ذلك قول بشار[*] بن برد:

إِذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِبـــاً *** صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّـــذي لا تُعاتِبُـــه

إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِراراً عَلى القَذى *** ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه[1]

---

(1) الدكتورة نجاح العطار، المعرفة مجلة ثقافية شهرية، السنة الرابعة والثلاثون العدد ٣٨٦، نوفمبر ١٩٩٥م، ص ٢٣٣.

(2) الإلبيري، ديوانه، ص ٨٢.

(3) أبو العتاهيه، ديوانه، ص ٣٦.

(*) هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ وهو بصري، قدم بغداد، وكان يلقب بالمرعث ومات في البطيحة بالقرب من البصرة سنة سبع، وقيل ثمان وستين ومائة.(ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٦٤).

والمعنى: إذا كنت تعاتب صديقك على كل هفوة يرتكبها فلن تجد صديقاً لا تعاتبه لأن جميع الأصدقاء يرتكبون الأخطاء ويزلون، فإذا أبيت إلا أن تشرب الماء الصافي الخالي من الكدر، فإنك ستبقى ظمآناً لأنك لن تجد ماء خالياً من الشوائب، وهكذا المجتمعات والأصحاب إذا لم تقبلهم على علاتهم ستفقدهم جميعاً، فيجب على الإنسان أن يغضّ الطرف عن زلات الأصدقاء، ويتحملهم عندما يقسون عليه، وهنا شبه الشاعر تحمل الأصحاب بشرب الماء الذي به قذى، وهو ما خالط الماء الزلال، فيقلل من نظافته، وتحمل الناس على أخطائهم من الحكمة لأن الحكمة تقتضي من صاحبها ترك كثير مما يحب، ويؤيد ذلك قول عمرو بن العاص:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه *** ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
وقضى وطراً منه وغادر سبه *** إذا ذكرت أمثالها تملأ الغما[2]

ويقول الإلبيري:

كَم آمِنٍ لِلمَنونِ لاهٍ *** عَنِ الرَدى باتَ مُطمَئِنّا
صَبَّحَهُ وافِدُ المَنايا *** فَعايَنَ المَوتَ حينَ عَنّا
حَتّى إِذا ما قَضى بَكاهُ *** حَميمُهُ مُعوِلاً مُرِنّا
واروَهُ في لَحدِهِ وَسَنّوا *** عَلَيهِ قَيدَ التُرابِ سَنّا
لِمِثلِ هَذا فَكُن مُعِدّا *** ما قَد أُعِدَّ الهُداةُ مِنّا[3]

يتوجه الشاعر بالخطاب في هذه الأبيات إلى المستغرق في الدنيا المشغول عن الآخرة، الذي لا يحسب حساب اليوم الموعود، وهو آخر ساعة

([1]) ديوانه، شرح: حسين حموي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج١، ص ٢٢٦.

([2]) ابن عبد البر، الإسيتعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ج٣، ص ٢٦٨.

([3]) الإلبيري، ديوانه، ص ١٤٢.

من ساعات الحياة الدنيا، وأول ساعة من زمن الآخرة هو الموت، ويخبرنا القرآن الكريم أن جميع البشر سوف يدركهم الموت، إذ يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾. (سورة العنكبوت: ٥٦).

وذكر الموت واجب لأن الرسول ﷺ يقول: "أكثروا من ذكر هادم اللذات، قالوا وما هادم اللذات؟ قال: الموت"[١].

وهناك قصيدة لزاهد المشرق أبو العتاهيه تحمل نفس المضمون وتصب في هذا المعنى وهي بعنوان هادم اللذات فلنرى ماذا قال فيها:

كَأَنّي بِرَهطي يَحمِلونَ جَنازَتي *** إِلى حُفرَةٍ يُحثى عَلَيَّ كَثيبُها
فَحَتّى مَتى حَتّى مَتى وَإِلى مَتى *** يَدومُ طُلوعُ الشَمسِ ثُمَّ غُروبُها
وَإِنّني مِمَّن يَكرَهُ المَوتَ وَالبِلى *** وَيُعجِبُني رَيحُ الحَياةِ وَطيبُها
أَيا هادِمَ اللَذاتِ ما مِنكَ مَهرَبٌ *** تُحاذِرُ نَفسي مِنكَ ما سَيُصيبُها
رَأَيتُ المَنايا قُسِّمَت بَينَ أَنفُسٍ *** وَنَفسي سَيَأتي بَعدَهُنَّ نَصيبُها[٢]

كلا الشاعرين تحدثا وعظا وعظاً مفاده إن على الإنسان أن يستعد للموت ويعتبر بمن سبقوه إلى القبر وهو كما قال ابن المبارك كلمة الصدق مبنية متجسمة فكل ما حولها يتكذب ويتأول وليس فيها هي إلا معناها لا يدخله كذب ولا يعتريه تأويل[٣].

والقبر كما قال الرافعي كلمة صدق فهو الرائد الذي لا يكذب أهله فينبغي على الإنسان أن يتعظ به ويستصحب ذكره في كل حين وأن لا يغتر بالشباب ويستثمره في اللهو.

---

(١) الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار الدعوة – دار سحنون، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص ١٤٢٢.

(٢) أبو العتاهيه، ديوانه، ص ٢١٣.

(٣) الرافعي، انظر الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، عبد الستار علي السطوحي، دار الإعتصام، ص ٢١٣.

يقول الإلبيري:

وَلا تَقُــل الصِــبا فيــهِ مَجــالٌ *** وَفَكِّر كَــم صَــغيرٍ قَــد دَفَنتــا[1]

ولأبي العتاهية: بيت في هذا المنحى أحسبه شديد الشبه ببيت الإلبيري وفيه توارد في الخاطر إذ يقول:

مات ما بين الجنسين إلى الرضيع *** إلى العظيم إلى الكبير الأشــيبا[2]

من خلال هذين البيتين يتضح لنا إن الموت يجتاح الصغير والكبيــر، ولا يتخير أحداً دون الآخر.

فلذلك الإلبيري يحذر ويعظ من اللهو، أيضاً أكثــر فــي شــعره مــن المواعظ البالغة والأقوال الحكيمة إذ لم يتوان في تقديم النصــيحة للإنســان فذكره بالموت والفناء والحساب والعقاب، ودعاه إلى التقوى والعمل الصالح، فجاء شعره ثمرة ناضجة لكل ذلك.

---

(1) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٠.

(2) أبو العتاهيه، ديوانه، ص ٤٥.

المبحث الثالث
الرثاء

الإنسان العربي قد يدفعه ألم الفقد، فينطق لسانه ببيان من فقده، وموضع الآلام في نفسه، والرثاء ميدان واسع للقول البليغ، يكشف فيه الإنسان عن ألم اللوعة، وحزها في النفس إذ ينفتق بما انفطر به القلب وانشقت المرائر[١]، والرثاء في اللغة من قولهم (رثيت الميت رثياً)، بالفتح ورثاية بكسرهما ومرثاة ومرثية مخففة، وعلى الأخير اقتصر الجوهري ورثوته أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه[٢]، وتقول رثى فلان لفلان إذا رق له لأن الميت تخشع له القلوب وترق له النفس والفرق بين الرثاء والتأبين إن الرثاء هو تعديد محاسن الميت، والأسف عليه والرقة له، والتأبين هو مدح الرجل بعد وفاته[٣]، والرثاء كأحد أغراض الشعر وجد حيزاً كبيراً في التراث الشعري عند العرب على مختلف أزمنته وعصوره.

وعلى الرغم من أن التعبير عن الحزن قديم قدم الإنسان نفسه إلا أن الصورة البدائية له ليست معروفة تماماً، شأنها شأن فنون القول الأخرى إلا أن بعضهم يرى أن المرثية نشأت نشأتها الأولى من ندب النوائح المجرد من القوالب، ولهذا غلب تعهده بعد ذلك على النساء[٤]، وعندما جاء الإسلام حرم

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في عصورها عند العرب، الطبع والنشر دار الفكر العربي، ص ٢٢٥.

(٢) محي الدين أبي الفضل الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، دون تاريخ، ج١٠، ص ١٤٤.

(٣) أحمد بن إسماعيل بن الأثير، جوهر الكنز، تحقيق محمد زغلول، القاهرة، منشأة المعارف، ١٩٠٠م، ص ٧٨.

(٤) كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله للعربية: د. عبد الحليم النجار، ط الثانية، دار المعارف، مصر، دون تاريخ، ج١، ص ١٦٤.

النواح وما شابهه، بقول الرسول ﷺ: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية"[١].

وقد قيل أنه "لم يقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب، لأن الناس لا ينفكون من المصائب، ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يعدم نفيساً كان هو المعدوم دون النفيس، وحق الناس الصبر على النوائب، وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع، ولوعة لا ترد، إنما لا يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة وجميل الذكر"[٢].

ولكل شاعر مذهبه في النواح والبكاء وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والأسف والإستفهام[٣].

وشاعرنا بدأ رثائه بنفسه ولامها قبل موتها بقوله:

وَما آسى عَلى الدُنيا وَلَكِن *** عَلى ما قَد رَكِبتُ مِنَ الذُنوبِ
فَيا لَهَفي عَلى طولِ اِغتِراري *** وَيا وَيحي مِنَ اليَومِ العَصيبِ
إِذا أَنا لَم أَنُح نَفسي وَأَبكي *** عَلى حوبي بِتَهتانٍ سَكوبِ
فَمَن هَذا الَّذي بَعدي سَيَبكي *** عَلَيها مِن بَعيدٍ أَو قَريبِ[٤]

فالشاعر لم يندم على ما فات من الدنيا ولكن ذنوبه التي ارتكبها تؤرق مضجعه وتطرد النوم من عينه، وأحسب أن بهرج الدنيا ونعيمها الزائل لا يغري شاعرنا بشيء فهو يخيف نفسه من هول اليوم العصيب والعصيب من الأمر والأيام هو الشديد.

---

(١) الإمام ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، نشر وتوزيع إدارة البحوث، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ، ج٣، ص ١٦٥.

(٢) أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، نشر مؤسسة المعارف، بيروت، دون تاريخ، ص ١٧.

(٣) ابن رشيق، العمدة، الجزء ٢، ص ١٤٧.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٧.

أيضاً رثى الإلبيري أصحابه ممن اتصفوا بالتقوى وصــدق المــودة، وفيها كذلك رثاء لنفسه إذ يقول:

فَإنَّ الرَدى غــالَ أَهــلَ التُقــى *** فَلَــم يَبــقَ إلا الغَشــومُ العَنيــد
وَأَودى بِكُــــلِّ خَليــــلٍ وَدودٍ *** فَــــأَينَ وَلا أَيــــنَ خِــــلٌّ وَدود
وكَم مِن أَخي ثِقَــةٍ قَــد لَحَــدتُ *** فَلِلَّــــهِ مـــا غَيَّبَتــــهُ اللُحــــود[1]

فيرى الإلبيري أن الموت ينتقي إنتقاءاً ويختار الأفاضل، ويبقي علــى أراذل الناس، فإبقاؤه على الغشوم أكبر دليل على ما ذهب إليه، والغشوم هو صيغة اسم الفاعل من غشم وغشم الوالي الرعية، بمعنى ضبطهم بعسفه وأخذ كل ما قدر عليه وأراده، والعنيد من عند بمعنى عتي وطغا وتجــاوز قــدره، فكأنما الموت عند الشاعر يتصيد الأحسن ويهمل الأسوأ.

كذلك قال رحمه الله في خراب إلبيره:

حينما اتسعت الدولة العربية الإسلامية بالفتوحات، وعمر أهلها المدن، وشيدوا المماليك، وبنوا القلاع، وأقاموا الحصون، ليدفعوا بها غلبة الأعــداء والخصوم صارت هذه المدن والممالك جزءاً من حياتهم، وأصبحت دالة على حضارتهم وإمكاناتهم وعقلياتهم، عبروا عنها بصدق الأحاسيس، وإخــلاص المواقف وحين سقط بعضها بأيدي الأعداء، بكوا بكاء حاراً يحفــل بصــدق المشاعر وبعمق الوجدان[2].

يُضَيَّعُ مَفروضٌ وَيُغفَلُ واجِــبُ *** وَإِنّي عَلى أَهلِ الزَمــانِ لَعاتِــبُ
أَتُندَبُ أَطلالُ الــبِلادِ وَلا يُــرى *** لِإِلبيرَةٍ مِنهُم عَلى الأَرضِ نــادِبُ
عَلى أَنَّها شَمسُ الــبِلادِ وَأُنسُــها *** وَكُلٌّ سِــواها وَحشَــةٌ وَغَياهِــبُ

---

(1) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣٥.

(2) جرش للبحوث والدراسات، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، تصدر عن جامعة جرش، العــدد الأول ١٩٩٦م، ص ٨٤.

لَعَهدي بِها مُبيَضَّةَ اللَيلِ فَاغتَدَت *** وَأَيّامُها قَد سَوَّدَتها النَوائِبُ
وَما كانَ فيها غَيرُ بُشرى وَأَنعُمٍ *** فَلَم يَبقَ فيها الآنَ إِلا المَصائِبُ
وَأَينَ بِحارُ العِلمِ وَالحِلمِ وَالنَدى *** وَأَينَ الأَكُفُّ الهامِياتُ السَواكِبُ
شَقَقنا عَلى مَن ماتَ مِنهُم جُيوبَنا *** وَكانَ قَليلاً أَن تُشَقَّ التَرائِبُ[1]

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الأديب الشهير أبي البقاء[*] صالح بن شريف الرندي فهو أيضاً من الذين بكو الأندلس بحرقة وحزن عميق إذ يقول:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ *** فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ
هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ *** مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ[2]

وتعد قصيدة الرندي هذه من أشهر قصائد الأندلسيين في رثاء الأندلس، لأن فيها صرخة صادقة لاستنهاض المسلمين على أعدائهم، ودعوه إلى الجهاد ضد جيوش الكفر التي طالت أرض الأندلس، وكان يحرض حكام المسلمين على استعادتها من الجيوش الغازية بقوله:

يا أَيُّها المَلِكُ البَيضاءُ رايَتُهُ *** أَدرِك بِسَيفِكَ أَهلَ الكُفرِ لا كانوا[3]

وتقدم هذه القصيدة قدراً عالياً من التصور الفني.

([1]) الإلبيري، ديوانه، ص ٨٥.

(*) أبو البقاء صالح بن شريف الرندي، نسبةً إلى رنده، شاعر أندلسي متأخر من أبناء القرن التاسع الهجري، ذكره المقري في نفح الطيب ولم يذكر شيئاً من أخباره، إلا أنه اشتهر بقصيدته السائرة في رثاء الأندلس.

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ

(دائرة المعارف، إدارة فؤاد أفرام البستاني، ج٤، بيروت، ط ١٩٦٢م، ص ٢٠٥).

([2]) الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شرحه: د. مريم قاسم طويل و د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ج٦، ص ١٤٤.

([3]) جرش للبحوث والدراسات، مجلة علمية نصف سنوية، ص ٢٤٤.

ومن ذلك قوله يحرض المجاهدين المسلمين، لينقذوا بلادهم التي غزاها النصارى الحاقدون:

يا راكِبينَ عِتاق الخَيلِ ضامِرَةً *** كَأَنَّها في مَجالِ السَبقِ عقبانُ
وَحامِلينَ سُيُوفَ الهِندِ مُرهَفَةً *** كَأَنَّها في ظَلامِ النَقعِ نيرَانُ
وَراتِعينَ وَراءَ البَحرِ في دعةٍ *** لَهُم بِأَوطانِهِم عِزٌّ وَسلطانُ
أَعِندكُم نَبَأ مِن أَهلِ أَندَلُسٍ *** فَقَد سَرى بِحَديثِ القَومِ رُكبَانُ[1]

الأبيات السابقة يحذر فيها الشاعر قومه من الإستسلام للدعة، ويحرضهم كذلك على جهاد أعداء الإسلام، وربما تتصدر أفكاره العالية، ومعانيه الناضجة كل ما تحمله القصيدة من مفردات المنجز الشعري.

كما يعتمد النص، التصوير الفني الجيد في تحذيره للمجاهدين، لكي لا يستسلموا للدعة كما رأينا، فهم أولاً (راكبين عتاق الخيل)و(حاملين سيوف الهند) وفي هذا تصوير ليقظتهم وشجاعتهم وهم ثانياً (راتعين في دعة) وهو تحذير لما قد يوقعهم في براثن الإستسلام والدعة والقعود عن الجهاد.

وقال أيضاً – رضي الله عنه – يرثي إمرأته:

تكاد صورة الزوجة تتضح في شعر الرثاء فتظهر فيه مفاهيم وقيم ومثل حاولت أن تحرص عليها وتصونها كالانسجام والتآلف الروحي وحسن المعاشرة وطيبها، وطهارة العرض، وأصالة العرق ولعل الألبيري جسد لنا كل ذلك في زوجته[2] قائلاً:

عُج بِالمَطيِّ عَلى اليَبابِ الغامِرِ *** وَاِربَع عَلى قَبرٍ تَضَمَّنَ ناظِري
فَسَتَستَبينُ مَكانَهُ بِضَجيعِهِ *** وَيَنِمُّ مِنهُ إِلَيكَ عَرفُ العاطِرِ
فَلَكَم تَضَمَّنَ مِن تُقىً وَتَعَفُّفٍ *** وَكَريمِ أَعراقٍ وَعِرضٍ طاهِرِ

([1]) التلمساني، نفح الطيب، ص ٢٤٤.

([2]) د. سلمى سليمان علي، انظر المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف، المكتبة الثقافية الدينية، ط الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، ص ٧٥.

وَاِقرَ السَلامَ عَلَيهِ مِن ذي لَوعَـــةٍ *** صَدَعَتهُ صَدعاً ما لَهُ مِـــن جـــابِرِ
فَعَساهُ يَسمَحُ لي بِوَصلِ في الكَرى *** مُتَعاهِـــداً لِـــيَ بِالخَيـــالِ الزائِـــرِ
قَطَعَ الزَمانَ مَعي بِأَكرَمِ عِشـــرَةٍ *** لَهفي عَلَيهِ مِـــن أَبَـــرِّ مُعاشِـــرِ[1]

لقد إحتلت الزوجة مكانة مرموقة عظيمة في نفس زوجها، تمثلت برابطة متينة سامية، وعلاقة محكمة الأواصر، نلحظها جليةً واضحة في شعر الإلبيري تمثلت في جزعه وحزنه عليها، وربما كان من أصدق الوفاء للزوجة والإخلاص الروحي لها قوله:

إِنّـــي لأَســـتَحييهِ وَهُـــوَ مُغَيَّـــبٌ *** فـــي لَحـــدِهِ فَكَأَنَّـــهُ كَالحاضِـــرِ
أَرعى أَذِمَّتَـــهُ وَأَحفَـــظُ عَهـــدَهُ *** عِندي فَما يَجري سِواهُ بِخـــاطِري
إِن كانَ يَدثُر جِسمُهُ في رَمسِـــهِ *** فَهَوايَ فيهِ الدَهرَ لَـــيسَ بِـــداثِرِ[2]

وعند شاعرنا بدت الزوجة مثالاً للنزاهة ونهجاً للهداية فهو يشير إلى أنها يمكن أن تتخذ علماً كي يهتدي به عندما يقول:

وَإِذا أَرَدتُ نَزاهَـــــةً طالَعتُهـــــا *** فَأَجولُ مِنهـــا فـــي أَنيـــقٍ زاهِـــرِ
وَأَرى بِها نَهجَ الهِدايَةِ واضِـــحاً *** يَنجو بِهِ مَن لَيسَ عَنـــهُ بِجـــائِرِ[3]

ولمكانة الزوجة المتميزة، تبدو الحيرة واضحة، والجزع الشديد، والفجوة الواسعة التي تركتها لزوجها بعد رحيلها متمثلة في قوله:

قَد آنَ لي أَن أَستَفيقَ وَأَرعَـــوي *** لَو أَنَّني مِمَّـــن تَصِـــحُّ بَصـــائِري
فَلَكَم أَروحُ وَأَغتَدي في غَمـــرَةٍ *** مُتَـــرَدِّداً فيهـــا كَمِثـــلِ الحـــائِرِ
وَأَرى شَبابي ظاعِناً في عَســـكَرٍ *** عَنّي وَشَـــيبي وافِـــداً بِعَســـاكِرِ[4]

([1]) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٠.
([2]) المصدر السابق، ص ٩١.
([3]) المصدر السابق، ص٩٢.
([4]) نفسه، ص ٩٣.

كذلك من المحدثين الذين رثو زوجاتهم رثاءً صادقاً نلمس فيه حرارة العاطفة، وألم الفقد، ومكابدة الحرمان محمود سامي البارودي إذ يقول:

أَيَدَ الْمَنُونِ قَدَحْتِ أَيَّ زِنَادِ *** وَأَطَرْتِ أَيَّةَ شُعْلَةٍ بِفُؤَادِي

أَوْهَنْتِ عَزْمِي وَهْوَ حَمْلَةُ فَيْلَقٍ *** وَحَطَمْتِ عُودِي وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ *** حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِي

لا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ وَلا يَدِي *** تَقْوَى عَلَى رَدِّ الحَبِيبِ الْغَادِي

يا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ *** كَانَتْ خُلاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا *** أَفَلا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلادِي[1]

وعلى ما يبدو أن الزوجة في شعر الألبيري ومن نهج نهجه، اسم تتجلى فيه كل معاني الألفة ونكران الذات.

ومما سبق نحسب أن قصيدة الرثاء لم تكن مجرد معرض يعرض فيها الناظم صفات الفقيد بل كانت الغاية منها أسمى من ذلك فهو يعرض فيها أحاسيسه ومشاعره تجاه الموت وفقد الأحبة.

([1]) محمود سامي البارودي، ديوانه، شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم، دار الجيل، بيروت، ط الثانية، ٢٠٠٢م، ص ١٤٥.

المبحث الرابع
أغراض أخرى

هنالك أغراض لم تكن رئيسية عند شاعرنا، ولكنه تعرض لها ونـذكر منها على سبيل المثال:

المطلب الأول: المدح:

والمدح هو فن الثناء والإكبار والإحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية، فساعد على إبراز كثير من الصفات والألوان لم تكن تعلم لولاه[١]، والمديح في اللغة هو اسم مشتق من الفعل الثلاثي مدح يمدح مدحاً فلاناً إذا أحسن الثناء عليه أي ضده ذمه، وجمع المديح المدائح، والأمدوحة أماديح بمعنى ما يمدح به[٢].

وإنما نشأ فن المديح عند العرب إعجاباً بالفضيلة، وثناء على صاحبها وحباً بالجليل من الأعمال، واهتزازاً أمام الأريحية وأمام الشجاعة وإكباراً للمروءة، وتقديراً للنبل، وحثاً على كل ما من شأنه أن يسير بالإنسان نحو الأفضل من الأوضاع[٣].

وقد اعترى المديح في العصر الجاهلي حب التكسب لرغبة الملوك والسادة فيه ولحاجة الشعراء إلى الرفعة والمجد والغنى، فصار وسيلة أو حرفة لكسب العطايا الجزيلة من الممدوحين وفناً يعنى به عناية بالغة التأثير في ذوي السلطان والنوال[٤].

---

(١) سامي الدهان، انظر المديح، دار المعارف بمصر، ص ٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة مدح في فصل الميم، ج٢، ص ٥٨٩.

(٣) أحمد أبو حاقة، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، القاهرة دار الشروق، ط١، ١٩٦٢م، ص ١٥.

(٤) جورج غريب، الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ط١، ١٩٦٨م، بيروت دار الثقافة، ص ٧٥.

أما المديح في العصر الإسلامي فقد عني أكثر بتمجيد الرسالة المحمدية والحث على الخلق الفاضل، والصفات النبيلة التي أقرها الإسلام وشاعرنا لم يخرج عن الإطار الذي حدده الإسلام ورسمه للمدح، وهو لم يمدح سوى ابن توبة القاضي ومدحه بما فيه من صفات دينية وعدلية، وهذا إن دل إنما يـدل على متانة العلاقة التي كانت تربطه بالقضاة والعلماء وما كان بينه وبينهم من معاني الألفة والمودة والإحترام.

فلنرى ماذا قال في ابن توبة ورفاقه من الفقهاء:

بعَلـيٍّ بَـنِ تَوبَـةٍ فـازَ قِـدحي *** وَسَـمَت هِمَّتـي عَلـى الجَـوزاءِ

فَهَنيئـاً لَنـا وَلِلـدينِ قـاضٍ *** مِثلُـهُ عـالِمٌ بِفَصـلِ القَضـاءِ

يَحسُـمُ الأَمـرَ بِالسِياسَـةِ وَالعَـد *** لِ كَحَسـمِ الحُسـامِ لِلأَعـداءِ

لَـو إِيـاسٌ يَلقـاهُ قـالَ اِعتِرافـاً *** غَلِـطَ الواصِـفونَ لـي بِالـذَكاءِ

لَو رَأى المُنصِـفونَ بَحـرَ نَـداهُ *** جَعَلـوا حاتِمـاً مِـنَ الـبُخَلاءِ

يَشهَدُ العـالِمونَ فـي كُـلِّ فَـنٍّ *** أَنَّـهُ كَالشِـهابِ فـي العُلَمـاءِ

وَقُضـاةُ الزَمـانِ أَرضٌ لَدَيـهِ *** وَهُوَ مِن فَـوقِهِم كَـأُفُقِ السَـماءِ[١]

المطلب الثاني: الهجاء:

والهجاء غرض من أغراض الشعر الغنائي عند العرب يجـرد فيـه المهجو من القيم والمثل والأخلاق ويكشف عن عيوبه ونقائصه بقصد إهانتـه والإزدراء به.

وهو في اللغة من هجا: يهجو هجواً بمعنى شتمه بالشعر وهو خـلاف المدح[٢] وبات مع الحطيئة[*].

---

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ٣٢.

(*) الحطيئة بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكه، شاعر مخضرم أدرك الجاهليـة والإسـلام كـان هجاءاً عنيفاً لم يكد يسلم من لسانه أحد هجا أمه وأباه ونفسه. (الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١١٨).

أداة للتكسب، ولعل هذا الشاعر أشهر هجائي العـرب فـي الجاهليـة والإسلام(١).

والهجاء طبيعة النفس الإنسانية، جاءت نتيجـة تفـاوت النـاس فـي حظوظهم من الرزق والجمال والجاه والسلطان، والمنافسة عادةً هي التي تدفع الناس إلى الهجاء والتعبير عن شعورهم بالسخط تجاه الخصوم، وقـد كـان الهجاء أقدم عادةً وأثراً من آثار حب الإنتقام والتشفي والثأر(٢).

وجاء الإسلام وأنكر على منتسبيه الهجاء وأوصد البـاب أمـامهم لأن موضوعه يدخل فيما نهى الله عنه قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾. (سورة الحجرات: ١١).

غير أن الهجاء في الإسلام اتجه اتجاهاً آخر وذلك بالنيل من أعداء الله ورسوله ، والهجاء كان متصلاً بالقيم الإسلامية والمثل الدينية فالشاعر حـين يعيب على المهجو انحرافاً عن دينه وعزوفاً عن الاستقامة، وانصرافاً إلـى الآراء والأفكار والقيم الوافدة، يكون هجاؤه هجاءً إسلامياً ودينياً.

وشاعرنا هجائه يدور حول هذه المعاني فهو قد هجا أبـو بكـر ابـن الحاج، وكان هذا المدعو أبو بكر قد هجا أبا الحسن بن توبة وجماعـة مـن الفقهاء فتصدى له الإلبيري ساعتئذ وفي القصيدة هجاء مر وتشف ظاهر فقد تبنى شاعرنا وجه نظر الحكم القضائي الذي أنفذه القاضي بـن توبـة فـي الشاعر.

---

(١) جورج غريب، الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ط١، ١٩٦٨م، بيروت، دار الثقافة، ص ٧٦.

(٢) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط١، بيروت مؤسسة الرسـالة، ١٩٩٤م، ص ٣٣٩.

أبي بكر الحاج، بعد تطاوله على القاضي خاصةً وجماعة من الفقهــاء أيضاً، وقد وصف ضربه بالسوط وصور أثره في بدنه ونفسه، وعيره بــذلك وبين له أن تلك العقوبة هي كفاء هجائه، وحذره من مغبة استرساله في طول لسانه وسرد بعض فضائل القضاة والفقهاء عامةً، وابن توبة خاصــة، وأيــد قضاءه وفي ذلك يقول:

السَوطُ أَبلَغُ مِن قالٍ وَمِــنِ قيــلِ *** وَمِــن نُبــاحُ سَــفيهِ بِالأَباطيــلِ

مُرُّ المَذاقِ كَحَرِّ النــارِ أَبــرَدُهُ *** يُعَقِّــلُ المُتَعــاطي أَيَّ تَعقيــلِ

رَأى مِنَ الطِبِّ ما بُقراطُ لَم يَرَهُ *** في بُرءِ كُلِّ سَخيفِ العَقلِ مَخذولِ

ضَئيلُ جِسمٍ تَخافُ الخَيلُ سَطوَتَهُ *** أَعدى وَأَطغى مِنَ التِمساحِ في النيــلِ

يَرقُصُ المَرءَ تَرقيصاً بِلا طَرَبٍ *** لَو كانَ أَثقَلَ أَو أَجسى مِنَ الفيــلِ

عِندَ السَخيفِ بِهِ خُبرٌ وَتَجرِبَــةٌ *** فَقَد رَمى تَحتَهُ مــا عُــدَّ بِــالفولِ

وَقَد حَسا مِنــهُ أَمراقــاً مُفَلفَلَــةً *** جَشَّتهُ شَرَّ الجُشا مِن شَرِّ مَــأكولِ

فَقُل لَهُ إِن جَرى هَجوٌ بِخــاطِرِهِ *** أُذكُر قِيامَكَ مَحلــولَ السَــراويلِ

وَاذكُر عُقوبَةَ ما زَوَّرتَــهُ سَــفَهاً *** في السادَةِ القــادَةِ الشُــمَّ البَهاليــلِ

هُمُ لُبابُ الوَرى حَقّــاً وَغَيــرُهُم *** عِنــدَ الحَقيقَــةِ أَبقــالُ الغَرابيــلِ

إِنَّ اِبنَ تَوبَةَ فيهِم رافِــعٌ عَلَمــاً *** مِنَ القَضــاءِ وَمُمتــازٌ بِإِكليــلِ[1]

فالناظر إلى هجاء شاعرنا يلمح فيه دفعاً للتعليم وإشمئزاز من الدناءات ورداً لسهام في صدور راميها، عن القضاة ورجال الدين ينشد فيهم ضالته من القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة ولم نعثر له على هجاء سوى هذه القصــيدة التي يدافع فيها عن ابن توبة والفقهاء الذين عناهم أبو بكر بن الحاج بهجائه.

المطلب الثالث: الحكمة:

ما سار شعر وطبق الآفاق وانتشر كالعبق بــين النــاس مثــل شــعر الحكمة، ولاحظي شعر بسيرورة شعرية عجيبة طوال هذه القرون مثل شعر

---

(1) الإلبيري، ديوانه، ص ١٢٦.

الحكمة فالناس تحفظ وترddه، وتستشهد به في مواقف مختلفة وتتغنى به كثيراً[1].

ومعنى الحكمة في اللغة ذكر الزمخشري: رجل محكم: بمعنى مجرب منسوب إلى الحكمة، وحكم الرجل مثل حلم أي صار حكيماً، وأحكمته التجارب جعلته حكيماً[2]، ومن أكثر التعريفات إيجازاً واختصاراً في تعريف الحكمة تعريفها بأنها: "كلام موافق للحق"[3]. وقد أشار ابن منظور إلى الحديث الشريف: "إن من الشعر لحكمة"[4]. بقوله: إن من الشعر لحكمة أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهي عنهما، قيل أراد بها المواعظ والحكم والأمثال التي ينتفع الناس بها، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم[5]، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا... ﴾. (سورة البقرة ٢٦٩).

وقد أولع الكثير من شعراء العربية بمعني الحكمة في شعرهم عبر مسار الشعر العربي فشاعرنا تناول الحكمة في شعره لأنها تتناسب مع أغراضه الشعرية من زهد ووعظ وإرشاد للناس يقول الألبيري:

وَخَف أَبناء جِنسِكَ وَاِخشَ مِنهُم *** كَما تَخشى الضَراغِمَ وَالسَبَنتى

---

(1) د. عبد الله أحمد باقازي، انظر حول الحكمة في الشعر العربي، من إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط ١٩٩٣م، ص ٥.

(2) الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط ١٩٨٤م، ص ١٣٧.

(3) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٩م، ط٢، ٩٨٤م، بيروت – لبنان، ص ١٣٧.

(4) الحافظ بن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، ج٧،ص ٢٦٩.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢،، ص ١٤٣.

وَخـــالِطهُم وَزايلهُـــم حِـــذاراً *** وَكُن كالســـامِريَّ[*] إِذا لَمِســـتا[١]

وهذه الحكمة وغيرها من حكم الإلبيري تبرز عامل الخبرة والتجربـة الحياتية، فالإلبيري ينطلق فيها من خلال خبرات حياة، وتجارب عمر عاشـه في الحياة وانعكس ذلك على شعره، وللطغرائي[*] أبيات بذات المعنى يقـول فيها:

أعدى عدوِّكَ أدنى من وَثِقْتَ به *** فحاذرِ الناسَ واصحبهمْ على دَخَلِ

وإنّما رجـلُ الـدُّنيا وواحِـدُها *** من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ[٢]

وكذلك يقول الألبيري:

وَإِذا تَقَحَّمَ أَعـزَلٌ فـي مَـأزِقٍ *** كانَ الأَسيرَ وَلَم يَكُـن بِالآسِـرِ[٣]

أيضاً يقول آخر في بيت يشبه ببيت الألبيري:

ولا تقـدمن علـى خطـة *** تكـون لـك حتفـاً ذفيفـاً[٤]

ومعنى الأبيات عند كلا الشاعرين لا يخلوان من الحكمـة، وهـي أن الإنسان ينبغي عليه ألا يوقع نفسه في شرك، وإذا تيقن من أمر أن لـه فيـه مضرة ينبغي عليه أن يتجنبه امتثالاً لقوله تعـالى: ﴿...وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ...﴾. (البقرة ١٩٥).

(*) عظيماً في بني إسرائيل قيل هو منهم، دعاهم إلى الضلالة وعبادة العجل وجعل الله عقوبته أن لا يماس الناس ولا يماسوه إلى يوم القيامة.

(١) الإلبيري، ديوانه،ص ٣٤.

(*) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد المعروف بالطغرائي، أديب، خبير بصناعة الكيمياء، ولد بأصبهان ومن آثاره ديوان شعر جمعة بعض أحفاده، (كحالة، معجم المؤلفين، ج١،ص ٦٢٨).

(٢) الطغرائي، ديوانه، علي جواد الطاهر، ط ١٩٦٣م، بغداد مكتبة النهضة، ص ٤٥.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ٩١.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، حققه: عبد الستار أحمد فرج، راجعه: محمـود محمـد شـاكر، القاهرة، مكتبة العروبة، ١٩٤٥م، ج١، ص ٢٤.

كذلك يقول الإلبيري:

وَلا تَقُـل الصِبـا فيـهِ مَجـالٌ *** وَفَكِّر كَـم صَـغيرٍ قَـد دَفَنتـا[1]

وفي هذا المعنى يقول البستي:

لا تَغتَرِرْ بشَبابٍ وارِفٍ خَضِـلٍ *** فكَمْ تَقدَّمَ قَبـلَ الشّـيْبِ شُـبّانُ[2]

ثم يزجي النصيحة بعد ذلك إلى الشباب والشيوخ، أما الشباب فنصيحته لهم هي أن لا ينتشوا بكأس الشباب وما تتيحه لهم من متعة فالنشوة تحجب عنهم إدراك الحقيقة، وهي أن هذه الفترة لن تدوم كما يخيل إليهم، وإن المنية كم اختطفت من الشباب الأقوياء قبل الشيوخ الكبار الضعفاء.

ثم يقول بعد ذلك:

لَيَقبُحُ بِـالفَتى فِعـلُ التَصـابي *** وَأَقبَحُ مِنـهُ شَـيخٌ قَـد تَفَتّـى[3]

وفي نفس المعنى يقول البستي في قصيدته المشهورة عنوان الحكم:

هبِ الشَّبيبَةَ تُبْلي عُذرَ صـاحبها *** ما عُذْرُ أشَيبَ يَستهويهِ شَـيْطانُ[4]

ففي الأبيات سالفة الذكر النصح موجه إلى الشيوخ من شاعرين حكيمين ملئت أفئدتهما حكمةً وتجربةً، بأن ينتبهوا ويكونوا نصحاء لأنفسهم، ولو فعلوا لامتنعوا عن كثير من الوجوه التي لا تليق بأمثالهم، والتي لو وجدنا عذراً للشباب في ارتكابها لما وجدنا للشيوخ مثله مهما حاولنا.

---

(1) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٠.

(2) البستي، قصيدة عنوان الحكم، ضبطها وعلق عليها: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، لبنان – بيروت، ص ٢٧.

(3) الإلبيري، ديوانه ،ص ٣١.

(4) البستي، عنوان الحكم، ص ٢٧.

الفصل الثالث
الدراسة الفنيـة

المبحث الأول
بناء القصيدة

أولاً مقدمة القصيدة:

كان للشعراء العرب مذهبان في مقدماتهم:

المذهب الأول هو الإبتداء بالنسيب وذكر الديار والدمن، وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة بقوله: "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكا وشكا، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين[1]، وفي مذهب آخر: يكافحوا أغراض القول كفاحاً من دون تقديم شيء بين يديه[2] وقد حظيت مقدمة القصيدة باهتمام كبير لدى النقاد، فعرفوها بأنها: "ظاهرة من الظواهر، التي صاحبت القصيدة العربية، على اختلاف الأعصار التي مرت عليها، والأمصار التي انتقلت إليها، وهي ظاهرة لم تتخذ شكلاً واحداً بل تعددت أشكالها، وتنوعت صورها، لا في العصور التي تلت العصر الجاهلي، بل في أول عهدها، يوم أن أصل شعراء الطليعة المبدعة في الجاهلية لقصائدهم مجموعة من التقاليد الفنية، التي كان من أشهرها حرصهم على افتتاح مطولاتهم بألوان مختلفة من المقدمات"[3].

([1]) الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: د. مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص ٢٧.

([2]) د. عبد الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط٤، الخرطوم سنة ١٩٩١م، دار جامعة الخرطوم للنشر، ص ٨٦٩.

([3]) حسن عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٧٨م، ص ٢٥٦.

ووضع الجرجاني مقياساً يقيس به الشاعر الحاذق في صنعة الشعر، وأهمية المدخل وما يليه من الخروج والخاتمة، إذ يقول: "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة"(١).

أما أبو هلال العسكري، فقد اشترط لجودة مطلع القصيدة، عدة شروط، جاء قوله فيها: "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"(٢).

وأولى ابن رشيق مطلع القصيدة عناية فائقة وسماه (المبدأ)، وعرّف الشعر بأنه: "قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، ليجتنب "ألا" و"خليلي" و "قد" فلا يستكثر منها عند ابتدائه، فإنها من علامات الضعف والتكلان، إلا القدماء الذين جروا على عرق، وعملوا على شاكلة، وقد اختار الناس كثيراً من الابتداءات(٣) كقول امرئ(*) القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ *** بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ(٤)

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص ٤٨.

(٢) كتاب الصناعتين، حققه وضبط نصه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨١م، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٤٩٦.

(٣) العمده، ج١، ص ٢١٨.

(*) امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق يماني الأصل أمه أخت المهلهل الشاعر ويعرف بالملك الضليل لإضطراب أمره طول حياته، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١٢.

(٤) ديوانه، ضبطه وصححه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص ١١٠.

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعة شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد وعن ابتداءات المحدثين، يقول ابن رشيق: "ومما اختير للمحدثين قول بشار بن برد".

أَبى طَلَلٌ بِالجِزعِ أَن يَتَكَلَّما *** وَماذا عَلَيهِ لَو أَجابَ مُتَيَّما(١)

ومقدمات القصائد عند شاعرنا جاءت وإن لم تكن كلها بل معظمها يدور حول الوعظ والزهد والتوجيه كقوله:

وَيلٌ لأَهلِ النارِ في النارِ *** ماذا يُقاسونَ مِنَ النارِ (٢)

كذلك قوله:

ما أَميَلَ النَفسَ إِلى الباطِلِ *** وَأَهوَنَ الدُنيا عَلى العاقِلِ (٣)

أيضاً قوله:

الشَيبُ نَبَّهَ ذا النُهى فَتَنَبَّها *** وَنَهى الجُهولَ فَما اِستَفاقَ وَلا اِنتَهى(٤)

فمعظم قصائد شاعرنا كانت مقدماتها بإحدى المحاور سالفة الذكر إلا أن بعض القصائد جاءت بداياتها متنوعة حسب مقتضى الحال كقوله:

يُضَيَّعُ مَفروضٌ وَيُغفَلُ واجِبُ *** وَإِنّي عَلى أَهلِ الزَمانِ لَعاتِبُ(٥)

ثانياً: الخروج أو التخلص:

لما كانت القصيدة العربية متعددة الأغراض غالباً، اشترط النقاد على الشعراء حسن الخروج من جزء إلى جزء خروجاً يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها، وهذا ما يطلقون عله حسن التخلص وعرف بن رشيق الخروج

---

(١) بشار بن برد، ديوانه، شرح: حسين حموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج٢، ص ٤٩٦.

(٢) الألبيري، ديوانه، ص ١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٥٣.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٨٥.

بقوله: "هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف وتخيل، ثم تتمـــادى فيما خرجت إليه[1] كقول حبيب[*]:.

صُبَّ الفِراقُ عَلَينا صُبَّ مِن كَثَــبٍ *** عَلَيهِ إِسحاقُ يَومَ الـــرَوعِ مُنتَقِمــا
سَيفُ الإِمامِ الَّذي سَــمَّتهُ هِمَّتُــهُ *** لَمّا تَخَرَّمَ أَهلَ الكُفــرِ مُختَرِمــا[2]

وعرفه ابن الأثير[*] بقوله: "هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى مــن المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليــه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه، من أجل أن نطــاق الكــلام يضيق عليه، ويكون متبعاً للوزن والقافية فلا تواتيه الألفــاظ علـــى حســب إرادته"[3].

ومن التخلصات التي مدحها النقاد قول البحتري:

شَقائِقُ يَحمِلــنَ النَــدى فَكَأَنَّــهُ *** دُموعُ التَصابي في خُدودِ الخَرائِــدِ
كَأَنَّ يَدَ الفَتحِ بنِ خاقــانَ أَقبَلَــت *** تَليها بِتِلكَ البارِقــاتِ الرَواعِــدِ[4]

([1]) العمده في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محـــي الـــدين عبـــد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان، الجزء الأول، ص ٢٣٤.

(*) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام: الشاعر الأديب أحد أمراء البيان، ولد فـــي جاســم وتوفى بالموصل وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب خلاف القصائد والمقــاطع، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١٦٥.

([2]) أبي تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبـــده عـــزام، ج٢، ط دار المعـــارف القاهرة، سنة ١٩٦٤م، ص ١٦٨.

(*) هو نصر الدين بن محمد بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجذري أبـــو الفـــتح ضـــياء الدين، أديب، كاتب، من الوزراء ولد بجزيرة بن عمر سنة ٥٥٨هــ وانتقل إلى الموصل وتوفى سنة ٦٧٣هــ كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص ٢٨.

([3]) المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصـــرية، صيدا – بيروت، ط ١٤١٦هــ – ١٩٩٥م، ج٢، ص ٤٤.

([4]) ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ١٩٦٣ الجـــزء الأول، ص ٦٢٣.

وكانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت[1]:

فدع ذا وسل الهم عنك بكذا كما قال امرؤ القيس:

فدعْ ذا وسلِ الهمَّ عنكَ ببازلٍ *** وسوجٍ إذا اليومُ المؤجّجُ هَّجرا[2]

ونرى الشاعر العربي المجيد يحسن الانتقال، فيغادر موضوعه الذي بدأه إلى آخر دون خلل، يجعل معانيه تنساب من موضوع لآخر حيث لا يشعر القارئ بأنه انتقل إلى غرض أو موضوع آخر نسبة للانسجام والالتئام التام بين أجزاء القصيدة.

وقد تميز شاعرنا الإلبيري بأساليب متعددة في الانتقال من غرض إلى آخر، فأدهشنا بمقدرته الفائقة على الانتقال خاصةً عندما يدور الحديث عن الوعظ والزهد والحكمة ففيهما يمازج ويخرج خروجاً يكاد لا يحس به المتتبع للقصيدة حيث تمتزج المعاني بلطف ومهارة.

ومن أمثلة ذلك خروجه عندما ينتقل اللوم الذاتي للنفس إلى الوعظ كقوله:

لَولا رَجاءُ العَفوِ كُنتُ كَناقِعٍ *** بَرِحَ الغَليلِ بِرَشفِ لَمعِ الآلِ

شابَ القُذالُ فَآنَ لي أَن أَرعَوي *** لَو كُنتُ مُتَّعِظاً بِشَيبِ قَذالِ[*] [3]

وأيضاً من تخلصاته التي لا يكاد يشعر بها المتتبع له في قصائده عندما يتطلع إلى التوبة النصوح فيلجأ إلى رجاء الرحمة والمغفرة كقوله:

فيالهفي إذا جمع البرايا *** على حربي لديهم وافتضاحي

وَلَولا أَنَّني أَرجو إِلَهي *** وَرَحمَتَهُ يَئِستُ مِنَ الفَلاحِ[4]

([1]) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٥١٣.

([2]) امرئ القيس، ديوانه، دار صادر، بيروت، ص ٩٤.

(*) القذال: جماع مؤخر الرأس ومعلوم أن الشيب عادةً يبدأ بالفودين من جانبي الرأس فإذا شاب القذال فقد استشرى الشيب وعظم الواعظ.

([3]) الألبيري، ديدوانه، ص ٤٥.

([4]) المصدر السابق، ص ٤٥.

ثانياً
خاتمة القصيدة

تسمى مقطع القصيدة والانتهاء، ودعا النقاد القدامى الشعراء أن يحسنوا الخاتمة يرجع إلى أنها آخر شيء يطرق الآذان فيظل صداها منغلقاً بـــالنفس، والانتهاء "قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكـــون محكماً لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده بأحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"(١).

فالاهتمام بخاتمة القصيدة لا يقل اهتماماً عن مقدمتها وقد أشار الدكتور عبد الله الطيب لذلك بقوله: "أمر المقاطع والنهاية، قريب من أمـــر المطـــالع والبداية، ذلك أنه كما نلتمس روعة المطلع ليقرع الأسماع، نلـــتمس حســـن المقطع مؤذناً بالخواتيم وقد يصوغ الشاعر آخر بيت في القصيدة صياغةً تدل على أنه ختم به قوله كقول امرئ القيس:

فَلَو أَنَّ ما أَسعى لأَدنى مَعيشَـــةٍ *** كَفاني وَلَم أَطلُب قَليلٌ مِنَ المـــالِ
وَلَكِنَّمـــا أَســـعى لِمَجـــدٍ مُؤَثَّـــلٍ *** وَقَد يُدرِكُ المَجدَ المُؤَثَّلَ أَمثـــالي(٢)

وعن جودة الخاتمة يقول أبو هلال العسكري: "أو ينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمهـــا"، كما فعل ابن الزبعري(*) في آخر قصيدة يعتذر فيها للنبي ﷺ ويستعطفه:

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت *** واقبل تضرع مستضـــيف تائـــب

---

(١) ابن رشيق، العمده، الجزء الأول، ص ٢٣٩.

(٢) د. عبد الله الطيب، المرشد، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط١، ١٩٩٢م، ج٤، القسم الأول، ص ١٢٨.

(*) أبو سعد عبد الله بن الزبعري من شعراء قريش المعدودين في الجاهلية وأوائل الإسلام وكانت وفاته ١٥ للهجرة، (٦٣٦) فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، ج٣، ص ١٣٢.

فجعل نفسه مستضيفاً، وحق المستضيف أن يضاف، وإذا أضيف من حقه أن يصان، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف، وجعل العفو عنه مع هـذه الأحوال فضيلة، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو(١).

ومن أبرع الأمثلة في حسن الختام قول أبي الطيب في ختام قصيدة:

فَلا حَطَّت لَكَ الهَيجاءُ سَرجاً *** وَلا ذاقَت لَكَ الدُنيا فِراقا(٢)

وكذلك قول تأبط شرا(*) في آخر قصيدته:

لَتَقْرَعنَّ عليَّ السنَّ من ندمٍ *** إذا تذكرت يوما صَفْوَ أخلاقي (٣)

من البديهي أن يهتم الشعراء بخواتيم أعمالهم الأدبية لأنهم بذلوا فيها عصارة إحساسهم وشعورهم فلذلك كان لا بد لهم من أن يتوخوا خاتمة تليق بمنزلتهم عند المتلقين وفي الغالب تكون الحكمة كقول طرفه:

سَتُبدي لكَ الأيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً(٤)

وخواتيم قصائد شاعرنا جاءت متوائمة مع أغراضه الشعرية من زهد ووعظ ودعاء.

ومن بعض القصائد التي ختمها بالدعوة إلى الزهد تجده يقول:

كَفى بِنَيلِ الكَفافِ مِنهُ غِنىً *** عَنهُ فَكُن فيهِ غَيرَ مُحتَفِلِ(٥)

---

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٥٠٣.

(٢) ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ج٣، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، ص ٥٦.

(*) ثابت بن حجر بن سفيان، أبو زهير الفهمي، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية شعره فحل، يقال أنه كان ينظر إلى الظبي في الفلاه فيجري خلفه فلا يفوته، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٩٧.

(٣) الضبي: المفصليات، ص ١٩.

(٤) طرفه بن العبد، ديوانه، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١م، ص ٣٨.

(٥) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣٨.

وقوله:

أَأُسَرُّ فـــي الـــدُنيا بِكُـــلِّ زِيــادَةٍ *** وَزِيادَتي فيهــا هِـــيَ النُقصـــانُ[١]

ومن أمثلة بعض قصائده التي ختمها بالوعظ قوله:

مَن لا يُراقِـــبُ رَبَّـــهُ وَيَخافُـــهُ *** تَبَّت يَـــداهُ وَمـــا لَـــهُ مِـــن والِ[٢]

وأيضاً قوله:

وَاِرتَقِـــبِ المَـــوتَ فَهـــوَ حَـــتمٌ *** يَختَـــرِمُ الطِفـــلَ وَالمُسِـــنّا[٣]

ومن أمثلة قصائده التي ختمها بالدعاء قوله:

وَإِلَيهِ أَضرَعُ في إِنابَةِ مُخلِـصٍ *** فَهُوَ الَّذي أَرجو لِسَدِّ مَفاقِري[*] [٤]

وقوله:

إِنّي دَعَوتُـــكَ مُلحِفـــاً لِتُجيرَنـــي *** مِمّا أَخافُ فَـــلا تَـــرُدَّ المُلحِفـــا[٥]

([١]) الإلبيري، ديوانه، ص ١٤١.

([٢]) المصدر السابق، ص ٤٧.

([٣]) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣.

(*) مفاقر: جمع على غير قياس لكلمة الفقر.

([٤]) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٤.

([٥]) المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.

رابعاً
وحدة القصيدة

ليس من العيب الفني أن تتعدد عواطف الشاعر وتتنوع، ولكن يجب أن تربط برابطة فنية تصب في وحدة الجو النفسي للقصيدة أو الوحدة العضوية.

وبالرغم من أن القدماء عنوا بالبيت الواحد، فقالوا هذا "أمدح بيت" وهذا "أغزل البيت" إلا أنه في كثير من الأحيان أدرك بعضهم أن القصيدة ينبغي أن تكون أبياتها متلاحمة ومترابطة فيقول ابن طباطبا(*): "أحسن الشعر ما انتظم فيه القول انتظاماً، يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب، إذا نقض تأليفها، فإن الشعر إذا أسس كفصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة والمرسومة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً، وفصاحة وجزالة ألفاظ، ودقة معاني، وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصفه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً"(١).

ويعرف شوقي ضيف(*) الوحدة العضوية للقصيدة بقوله: "أن تكون بنية حية تامة الخلق، والتكوين، فليست القصيدة ضرباً من المهارة في صياغة أبيات من الشعر، وإنما هي بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنى، وإنها

(*) ابن طباطبا: أحمد بن محمد بن إبراهيم العلوي، المعروف بابن طباطبا "أبو القاسم"، نقيب الطالبيين بمصر من آثاره: عيار الشعر، كحالة معجم المؤلفين، ج١، ص ٢٣٩ .

(١) محمد بن أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م، ص ١٣١.

(*) شوقي ضيف: مؤرخ أدبي مصري، وعضو مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٧٦م، وله مؤلفات عدة منها، تاريخ الأدب العربي أربع أجزاء، والفن ومذاهبه في الشعر العربي، حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٩م، الموسوعة العربية الميسرة، ط٢ المحدثة، ج٣، ص ١٤٩١.

عمل تام كامل ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتاً، ولكن كل بيت خاضع لما قبله، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط من النسيج يدخل في تكوينه ويساعد على تشكيله"[١].

أما الحاتمي[*] فقد شبه القصيدة بالإنسان فقال: "أن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التراكيب، غادر الجسم عاهةً تتخون محاسنه، وتخفي معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان"[٢].

مما سبق نلاحظ أن النقاد لم يختلفوا في تعريفهم للوحدة العضوية للقصيدة أو في أهميتها ولكنهم اختلفوا في هل عرفت القصيدة العربية هذه الوحدة أم لا، فمنهم من أنكر معرفة القصيدة العربية لها، ومن هؤلاء النقاد شوقي ضيف الذي قال: "ومن الحق أن القصيدة العربية لم تكن تعرف هذه الوحدة العضوية معرفة واضحة، وربما كان مرجع ذلك تقيد شعرائنا في القرون الوسطى بنموذجها الذي وضعه لها شعراء العصر الجاهلي، حيث نجد القصيدة متحفاً لموضوعات مختلفة، لا يربط بينها أي رابطه قريبة، فالشاعر يبدؤها بوصف الأطلال والديار والنسيب، ثم يستطرد إلى وصف الصحراء وحيوانها الأليف والوحشي، حتى إذا فرغ من هذا الوصف، خرج

---

(١) د. شوقي ضيف، في النقد العربي، دار المعارف مصر، ط ١٩٦٦م، ص ١٥٣.

(*) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي، أديب، ناقد، من أهل بغداد نسبته على جد له اسمه حاتم له الرسالة الحاتمية توفى ٣٨٨هـ ، الزركلي، الأعلام، ج١٦، ص ٨٢.

(٢) ابن رشيق، العمدة، الجزء الأول، ص ١٧١.

إلى الغرض الأساسي لقصيدته من الفخر أو المدح أو الهجاء أو الاعتــذار أو الرثاء وربما ختمها بالحكم والأمثال"[١].

وإذا نظرنا في شعر الإلبيري نجده قد التزم فــي قصــائده بالوحــدة المعنوية – العضوية – وجاءت قصائد ملتئمة الأجزاء، متصلة المشاعر، تامة البناء، فبالرغم من أن بعض قصائده كانت متعددة المواضيع، إلا إننا نجــده يخرج من معنى إلى آخر خروجاً لطيفاً، الأمر الذي مكن خــروج قصــيدته مؤتلفة الأعضاء متناسقة وخير شاهد على ذلك تائيته التي فاقت المئة بيــت، وبها افتتح ديوانه ففيها عالج عدة مواضيع بمهارة واقتدار، بدأ الكلام فيها عن غفلة الإنسان وعما تصنعه آلة الزمن في بني آدم ثم بعد ذلك خرج إلى العلم وتحدث عنه، وإن الإنسان مسئول عن علمه وسفه من يفضل المــال علــى العلم، ودعا إلى الجد والتوبة والخضوع لله تعالى، وحذر من الإخــلاد إلــى الدنيا، وخرج إلى اعتراف عام بالذنوب، وسرد لمعايب الإنســان المقصــر، وختم القصيدة بنصائح عامة في الأخلاق، فبالرغم من تعدد المواضيع في هذه القصيدة إلا أنها خرجت متحدة الأجزاء، ولم تختل وحدتها لأن شاعرنا كــان يخرج من معنى إلى آخر خروجاً يكاد لا يحس به القارئ[٢].

ففيها بدأ الكلام بغفلة الإنسان إذ يقول:

فَكَم ذا أَنــتَ مَخــدوعٌ وَحَتّــى *** مَتى لا تَرعَوي عَنهــا وَحَتّــى[٣]

ثم بعد ذلك انتقل إلى من دعاه أبا بكر والخطاب عام إلى العلم إذ يقول:

أَبا بَكــرٍ دَعَوتُــكَ لَــو أَجَبتــا *** إِلى مــا فيــهِ حَظُّــكَ إِن عَقَلتــا

---

(١) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، الطبعة الســابعة، دار المعــارف، الناشــر دار المعــارف ١١٩ كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع. ص ١٥٤.

(٢) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، الطبعة الســابعة، دار المعــارف، الناشــر دار المعــارف ١١٩ كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع. ص ١٥٤.

(٣)الإلبيري، ديوانه ، ص ٢٤.

إِلــى عِلـمٍ تَكــونُ بِــهِ إِمامــاً *** مُطاعاً إِن نَهَيــتَ وَإِن أَمَرتــا [1]

أيضاً انتقل إلى العلم ووصفه وصفاً جيداً إذ يقول:

هُوَ العَضبُ المُهَنَّدُ لَــيسَ يَنبــو *** تُصيبُ بِهِ مَقاتِــلَ مــن ضَــرَبتا

وَكَنزاً لا تَخــافُ عَلَيــهِ لِصّــاً *** خَفيفَ الحَملِ يوجَدُ حَيثُ كُنتــا [2]

ولم ينس أن يخبرنا أن الإنسان مسئول عن علمه كقوله:

وَإِن أوتيتَ فيــهِ طَويــلَ بــاعٍ *** وَقــالَ النــاسُ إِنَّــكَ قَــد سَــبَقتا

فَلا تَــأمَن سُــؤالَ اللَــهِ عَنــهُ *** بِتَوبيخٍ عَلِمــتَ فَهَــل عَمِلتــا [3]

([1]) الإلبيري، ديوانه ، ص ٢٥.

([2]) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥.

([3]) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦.

المبحث الثاني
اللغة والأسلوب

اهتم النقاد القدامى بقضية اللفظ والمعنى ونالت جل اهتماماتهم وحازت على الكثير من مؤلفاتهم وأبحاثهم وانقسموا في شأنها إلى ثلاث فرق، فالفرقة الأولى قدمت اللفظ على المعنى، والفرقة الثانية قدمت المعنى علـــى اللفــظ، والفرقة الثالثة اهتمت باللفظ والمعنى معاً.

فمن الذين مجّدو اللفظ واهتموا به دون المعنى الجاحظ(*)، ففي كتاباته نجده يرفع من شأن اللفظ ويهتم به مهملاً المعنى ففي ذلك يقــول: "المعـــاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والقروي والبدوي، وإنما الشـــأن فـــي إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير" [١].

ومن الذين اهتموا بالمعنى دون اللفظ ابن قتيبة(*)، إذ يرى بأن اللفــظ يجب أن يكون مسخراً في خدمة المعنى، ولهذا قسم الشعر إلى أربعة أضرب "ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه فإذا أنت فتشته لم تجــد هنالك فائدة من المعنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنـــه وضـــرب تأخر معناه وتأخر لفظه"[٢].

(*) هذا لقب أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ البصري، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظيه وله تصانيف مشهورة في عدة علوم، عز الدين ابن الأثير الجذري، اللباب، ج١، مكتبة المثنى بغداد، ص ٢٤٨.

(١) الحيوان: تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٣٨٨هـــ - ١٩٦٩م، ج٣، ص ١٣٦.

(*) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري صاحب كتاب "المعـــارف" "وأدب الكتـــاب" كـــان فاضلاً ثقة سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٣١.

(٢) الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: د. مفيد قميحـــه والأســـتاذ محمـــد أمـــين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الجزء الأول، ص ٦٤.

أما ابن رشيق القيرواني فهو من المهتمين باللفظ والمعنى معاً. فإنه لم يفصل أحدهما عن الآخر بل جعل الشعر بلفظه ومعناه كالجسم والروح لا ينفصل بعضها عن بعض يقول: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته؛ فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقضاً للشعر وهجنةً عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظ"، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع"[1].

هذه هي أبرز الآراء في قضيتي اللفظ والمعنى، وفي تقديري أن ابن رشيق القيرواني وفق في قوله بأن اللفظ والمعنى مرتبطان كالجسم والروح معاً لأنه لا يمكن أن يفصل اللفظ من المعنى ولا المعنى من اللفظ، فهما كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فلذا لا يجوز فصلهما من بعض، ولا يجوز الكلام عن أحدهما دون الآخر.

اشترط النقاد القدامى في لغة الشعر شروطاً لا يجوز للشاعر أن يتعداها، منها أن يكون الكلام جزلاً سهلاً بعيداً عن العامية، ولا تدخله الكلمات الصعبة، وأكثر النقاد حديثاً عن هذه الشروط القاضي الجرجاني الذي يقول: "فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جّدك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتّب

([1]) العمده في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط الخامسة، ١٩٨١م، ج١، ص ١٢٤.

كلا مرتبته وتوفيه حقه، فتلطّف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصـرف للمديح تصرف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمـدام، فلكـل واحد من الأمرين نهج هو أملك به"[١].

وأحسب أن شاعرنا ألبس كل حالة لبوسها فهو لم يخرج عن الإطـار الذي حدده النقاد للشعر، فهو مثلاً عندما يتحدث عن الزهد يصرف نظره عن الدنيا ويأمر من حوله بذلك إذ يقول:

فَلَيسَـت هَـذِهِ الـدُنيا بِشَـيءٍ *** تَسـوؤُكَ حُقبَـةً وَتَسُـرُّ وَقتـا
وَغايَتُهـا إِذا فَكَـرَّت فيهـا *** كَفَيئِـكَ أَو كَحُلمِـكَ إِن حَلَمتـا[٢]

فالدنيا في نظره كالظل الذي يستظل بها الإنسان ويتركه ومثـل هـذا ينبغي أن لا يؤسف عليه.

كذلك عندما ينتقل إلى الوعظ فكلامه يدخل القلـوب بـدون إسـتئذان كقوله:

إِنَّ المَعاصِـيَ لا تُقـيمُ بِمَنـزِلٍ *** إِلا لِتَجعَلَ مِنـهُ قاعـاً صَفصَـفا
وَلَو أَنَّني داوَيتُ مَعطَبَ دائِهـا *** بِمَراهِمِ التَقـوى لَوافَقـتِ الشِـفا
شَـتّانَ بَـينَ مُشَـمِّرٍ لِمَعـادِهِ *** أَبَداً وَآخَـرَ لا يَـزالُ مُسَـوِّفا[٣]

وعندما ينتقل إلى الرثاء نجد أن لغته تميل إلى السلوى وطلب العزاء فنجـده يقول في رثاء زوجته شعراً يكسوه الحزن والتفجع والحسرة على فراقها.

وَلَـو أَنَّنـي أَنصَـفتُهُ فـي وُدِّهِ *** لَقَضَيتُ يَومَ قَضـى وَلَـم أَسـتَأخِرِ
وَشَقَقتُ في خِلبِ الفُؤادِ ضَـريحَهُ *** وَسَـقَيتُهُ رَبَـداً بِمـاءِ مَحـاجِري

---

(١) القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطه بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبـو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت – لبنان، ص ٢٤.

(٢) الإلبيري،ديوانه ، ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢.

أَجِدُ الحَلاوَةَ فـــي الفُــؤادِ بِكَونِـــهِ *** فيـــهِ وَأَرعـــاهُ بِعَـــينِ ضَـــمائِري[١]

وعندما يعمد إلى الحكمة نجد ألفاظه ولغته متأثرة بالقرآن الكريم فمثلاً قوله:

أَنتَ مِثلُ السِـــجِلِّ يُنشَـــرُ حينـــاً *** ثُمَّ يُطوى مِن بَعـــدِ ذاكَ وَيُخـــتَم[٢]

ففي البيت اقتباس واضح من الأسلوب القرآني في قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ...﴾. (سورة الأنبياء: ١٠٤).

أيضاً قوله:

فَهَل مِن تَوبَـــةٍ مِنهـــا نَصـــوحٍ *** تُطَيِّرُني وَتَأخُـــذُ لـــي سَـــراحي[٣]

أيضاً اقتبس هذا المعنى من الأسلوب القرآني في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ...﴾. (سورة التحريم: ٨).

نجد أن شاعرنا الألبيري يستخدم التكرار في أسلوبه والتكرار عبـارة عن وسيلة قوية التأثير لاقتراح اللون العاطفي الحزين أو الهائم أو الطرب الذي يراد إشاعته في الأسماع[٤] يقول الألبيري:

وَيلٌ لأَهـــلِ النـــارِ فـــي النـــارِ *** مـــاذا يُقاســـونَ مِـــنَ النـــارِ

تَتقَدُّ مِـــن غَـــيظٍ فَتَغلـــي بِهِـــم *** كَمِرجَـــلٍ يَغلـــي عَلـــى النـــارِ

وَكُلُّهُـــم مُعتَـــرِفٌ نـــادِمٌ *** لَـــو تُقبَـــلُ التَوبَـــةُ فـــي النـــارِ

يَهوي بِها الأَشقى عَلـــى رَأسِـــهِ *** فَالوَيـــلُ لِلأَشـــقى مِـــنَ النـــارِ

وَلَو جِبالُ الأَرضِ تَهـــوي بِهـــا *** ذابَت كَذَوبِ القِطـــرِ فـــي النـــارِ

---

(١) الألبيري، ديوانه، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٥٠.

(٤) د. عبد الله الطيب، انظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج٢، في الجـرس اللفظـس، ط٤، الخرطوم سنة ١٩٩١م، دار النشر جامعة الخرطوم، ص ١٤٥.

يا أَيُّها النــاسُ خُــذوا حِــذرَكُم *** وَحَصِّــنوا الجَنَّــةَ لِلنــارِ

وَاللَهِ لَــو أَعقِــلُ لَــم تَكتَحِـل *** بِــالنَومِ عَينــي خيفَــةَ النــارِ [1]

ذهب ابن رشيق: "أن للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه"[2].

كذلك ذكر الدكتور عبد الله الطيب ثلاث أنواع منه:

١ - **التكرار الترنمي:** وتدخل فيه إعادة الأبيات كاملة على النحو المسمى بالشيله في العامية، ورد الصدر على العجز، والتوطئيه للقافيه.

٢ - **التكرار الصوري:** وأكثر ما يجيء في النسيب والحنين، وهو أما ملفوظ كتكرار الغضى في شعر مالك بن الريب، وملحوظ كتكرار أسماء المواضع في النسيب وقد تكرر أسلوب تكرار المواضع من المنهج الجاهلي، حتى صار رمزياً صرفاً في أشعار الصوفيه.

٣ - **التكرار التفصيلي:** أو الخطابي وهو ملفوظ بأن يكرر الشاعر كلمة بعينها، أو ملحوظ، بأن يكرر ألفاظاً مترادفة أو متشابهة، ويدخل تحت هذا التكرار ما أسماه الجاحظ بالأسلوب الكلامي، كما يدخل أكثر ما يراد به التهويل[3].

---

(1) الإلبيري،ديوانه ، ص ١٠٢.

(2) ابن رشيق، العمده في محاسن الشعر وادبه ونقده، ج٢، ص ٧٣ – ٧٤.

(3) د. عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج٢، في الجرس اللفظي، ط٤، الخرطوم ١٩٩١م، دار النشر جامعة الخرطوم، ص ١٩٤.

وظاهرة التكرار كما تقول نازك[*] الملائكة: "هي تسليط الضوء على المناطق الحساسة من النص"[١]. وهذا يعني أن الهدف منه ليس هدفاً شكلياً فحسب إنما هو هدف معنوي وعاطفي لذلك.

أحسب أن النوع الثالث من أنواع التكرار الذي ذكره د/ عبد الله الطيب بأنه يأتي للتهويل هو النوع الأقرب والأنسب لشاعرنا لأنه صاحب شخصية قلقة ونفس مضطربة ترتعد فرائصها إذا ذكرت النار فالنار تعني له الكثير، فهو الفقيه الزاهد العابد الذي يستصحب معية الله في كل سكناته وحركاته وإنما أتى بهذا النوع من التكرار حتى ينبه من حوله لإعداد العدة لملاقاة الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة.

أيضاً من الأساليب التي تميز بها شاعرنا الاقتباس ومعناه في اللغة كقولك قبس منه النار يقبس قبساً أخذها شعلة فهو قابس، وقبس فلان العلم تعلمه واستفاده[٢]، وكذلك القبس بفتحتين شعلة من نار وكذا واقتبس منه ناراً وعلماً أي استفاد[٣] والقوابس الذين يقبسون الناس الخير يعني يعلمون واتانا فلان بقبس العلم فأقبسناه[٤].

(*) شاعرة عراقية ولدت عام ١٩٢٣م، من أسرة عرفت بالثراء والثقافة والفن وهي من أبرز أصحاب الشعر الحر التفعيله ومن دواوينها "أغنية الإنسان"و "شظايا ورماد" الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الرابع، ص ٢٤٢٦.

(١) جرش للبحوث والدراسات، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، تصدر عن جامعة جرش العدد الأول، ١٩٩٦م، ص ٨٥.

(٢) المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ناشرون ساحة رياض الصلح، ط جديدة ١٩٨٧م، ص ٧١١.

(٣) الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٥١٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ١٦٦.

في الاصطلاح هو تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القــرآن الكــريم، الحديث النبوي الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير فــي الأثر المقتبس قليلاً[١] ومن أمثلة ذلك قول البحتري[*]:

نُعمى مِنَ اللَهِ اِصطَفاكَ بِفَضلِها *** وَاللَهُ يَرزُقُ مَن يَشــاءُ وَيَقــدِرُ[٢]

ومن أمثلة اقتباس شاعرنا من القرآن قوله:

وَإِن راعَيتَـــهُ قَـــولاً وَفِعـــلاً *** وَتــاجَرتَ الإِلَــهَ بِــهِ رَبِحتــا[٣]

فالمعنى مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾. (سورة فاطر: ٢٩). وفي الآية الكريمة المعنى مجازي والتجارة ترد للعمــل يترتب عليه خيراً وشراً.

كذلك قوله:

وَلا تَضحَك مَعَ السُــفَهاءِ لَهــواً *** فَإِنَّكَ سَوفَ تَبكــي إِن ضَــحِكتا[٤]

المعنى هنا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلًا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾. (سورة التوبة: ٨٢).

أيضاً قوله:

ثَقُلتَ مِنَ الذُنوبِ وَلَستَ تَخشــى *** لِجَهلِــكَ أَن تَخِــفَّ إِذا وُزِنتــا[٥]

---

(١) د. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيــع والطباعــة، ط جديــدة ٢٠٠٧م، ص ٢٨٤.

(*) هذا النسب إلى بحتر وهو بطن من طيء، وهو بحتر بن عتود بن عنين ولد بمنبج ومات بها سنة خمس وثمانين ومائتين. عز الدين بن الأثير الجذري، اللباب في تهذيب الإنسان، مكتبة المثنى بغداد، ج١، ص ١٢٣.

(٢) البحتري، ديوان البحتري، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت عام ١٩٦٢م، ج١، ص ١٠١.

(٣) الألبيري،ديوانه، ص ٢٩.

(٤) ديوان الألبيري، ص ٣١.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٢.

فالحق عز وجل يقول: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾. (سورة القارعة: ٦-٩).

كذلك قوله:

لأعظَمـتَ النَدامَـةَ فيـهِ لَهفـاً *** عَلى ما في حَياتِكَ قَـد أَضَـعتا[١]

من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾. (سورة الزمر: ٥٥-٥٦).

أيضاً قوله:

وَإِن جَهِلوا عَلَيكَ فَقُـل سَـلاماً *** لَعَلَّكَ سَـوفَ تَسـلَمُ إِن فَعَلتـا[٢]

كذلك في التنزيل: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾. (سورة الفرقان: ٦٣).

كذلك اقتبس شاعرنا من السنة المحمدية ومن أمثلة ذلك قوله:

فَرَأسُ العِلمِ تَقـوى اللَـهِ حَقّـاً *** وَلَيسَ بِأَن يُقـال لَقَـد رَأَسـتا[٣]

هذا المعنى ورد في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - : "رأس الحكمة مخافة الله"[٤].

أيضاً قوله:

وَلَـم تُخلَـق لِتَعمُرهـا ولَكِـن *** لِتَعبُرَهـا فَجِـدَّ لِمـا خُلِقتـا[٥]

---

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦.

(٤) العلامة السيد محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علـوم الـدين، ط دار الفكر، ج٨، ص ٤٤٨.

(٥) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٩.

اقتبس هذا المعنى من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنـــه – قال: نام رسول الله ﷺ على الحصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب اســتظل تحت شجرة ثم راح وتركها"(١).

كذلك قوله:

فَخُذِ الكَفافَ وَلا تَكُن ذا فَضــلَةٍ *** فَالفَضلُ تُسأَلُ عَنــهُ أَيَّ سُــؤالِ(٢)

ففي الحديث عن ابن سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع النبـــي ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشــمالاً فقــال الرسول ﷺ: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومــن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له"(٣).

وقوله أيضاً:

قَد بَلَغتَ السِتينَ وَيحَــكَ فَــاِعلَم *** أَنَّ مــا بَعــدَها عَلَيــكَ تَلَــوَّم(٤)

ففي وقوف الشاعر عند سن الستين ملمح من أحاديث نبوية فالرســول ﷺ يقول في حديث عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك"(٥).

مما سبق نلحظ أن لغة شاعرنا الألبيري قد اتسمت بالوضوح والسهولة وأنه تجنب حوشي الألفاظ وغريبها، ونجده قد استعمل ألفاظاً من المــوروث

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقــوال والأفعال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج١، ص٣٩١.

(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ٤٦.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص ٣٤.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٥٦.

(٥) أمام المحدثين الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبـــرى، دار المعرفــة بيروت – لبنان، ط ١٤١٣هــ – ١٩٩٢م، الجزء الثالث، ص ٣٧٠.

الإسلامي فظهرت في أشعاره قوية رصينة زادت من قوة المعنى وهذا يـــدل على براعته في استغلال التراث الأمر الذي رفــع قيمـــة أشـــعاره، وهــذا الموروث في تقديري يعطي الشعر صفة الخصوبة والإثــراء كمـــا يمنحـــه الرصانة والقوة والجزالة.

المبحث الثالث
التجارب النفسية الباعثة على غرض الشعر عند الإلبيري

عندما دخل العرب الأندلس واستراحوا من الغزو، رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وهي قرض الشعر، فالشعر هو متعتهم النفسية وغذاؤهم الروحي، ومرآة لحياة العربي الاجتماعية والنفسية يتغني به في حِلِه وترحاله، ومن الأسباب التي دعت إلى نهضة الشعر في الأندلس:

١ – طبيعة بلاد الأندلس وما فيها من المناظر المختلفة، والأمطار المتصلة، والأدواح الظليلة، والأنهار الجارية، والسهول الخصبة، والجبال المكسوة، والمروج الموشاة بألوان الزهر، والقصور الشاهقة، والرياض الغناء.

٢ – كذلك عناية الملوك والأمراء بقرض الشعر حملت الشعب جميعه على الإقبال عليه، حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب، وجمالاً لكل عالم[١].

ومن الأسباب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند الألبيري الزهد والوعظ الديني، فنجد معاني شعره قد اتصلت بالحياة والموت، وجاءت زاخرةً غزيرة، فالدنيا مذمومة لا يدوم لها ظل، ولن تلبث أن تمضي وتزول، والموت يلم بكل أحد وهو مشهد يتكرر كل حين ليتعظ به البشر فيأخذون من أنفسهم لأنفسهم، ويستعدوا لساعة الرحيل، وإنما الخلود والبقاء لما ادخر

---

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص ٣٠٧

المرء في أخرته، جنةً أو ناراً والكل رهين بما كسب، وليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى.. [1].

وكانت رقعة الحديث في مثل هذا الموضوع فسيحة، فالوعظ والزجر للمشتغلين بالدنيا اللاهيين فيها، والتذكير والنصح للراشدين، وذلك بذم الدنيا، وتعظيم أمر الموت الذي لا يفلت أحداً، والترغيب في الجنة التي أعدت للمتقين، والتخويف من النار، التي توقد بالناس والحجارة، وتنال الظالمين المسرفين[2].

وفي هذا المنحى يقول الإلبيري:

وَتائِبٌ مِن ذَنبِهِ مُشفِقٌ *** يَبكي بُكاءَ الواكِفاتِ الهُتُن

تَخالُهُ بَينَ يَدَي رَبِّهِ *** في ظُلَمِ اللَيلِ كَمِثلِ الغُصُن

كَأَنَّما الأَرضُ لَهُ أَيكَةٌ *** وَهوَ بِها قُمرِيَّةٌ في فَنَن

وَأَدرِكِ الفائِتَ مِن قَبلِ أَن *** يَفجَأَكَ المَوتُ فَلا تُنظَرَن

أَقبَحُ مَن تَرمُقُهُ مُقلَةٌ *** مُبصِرَةٌ شَيخٌ خَليعُ الرَسَن

تَقتادُهُ الدَهرَ دَواعي الهَوى *** إِلى الصِبا مِثلَ اِقتِيادِ البُدُن

يَأمُلُ آمالَ فَتىً يافِعٍ *** كَأَنَّهُ لَيسَ بِشَيخٍ يَفَن[3]

فصورة الشيخ المتصابي منظر قبيح لا يطيقه الإلبيري وكثيراً ما يستهجنه ويستقبحه في شعره.

أيضاً من الأسباب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند شاعرنا الدعوة الإسلامية، وهي غرض أدبي يعرض فيه الشاعر سماحة الإسلام

---

(1) د. مجاهد مصطفى بهجت، انظر التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ص ٥١٤.

(2) المصدر السابق، ص ٥١٤.

(3) الإلبيري، ديوانه، ص١٧.

ويسره وبساطته، وأنه دين العقل والقلب معاً، ومما يدل على سماحة الإسلام في تشريعاته في العبادات والمعاملات كالتخفيف والرخص، ورفع الحرج والضيق، والنهي عن الضرر وإباحة الضرورات[1].

وغير ذلك مما يدل على يسر الإسلام، حتى تحول الغزاة الجبابرة من المغول والتتار إلى دعاة مصلحين وحكام مسلمين، وعلى الأدب الإسلامي الحديث أن يتخذ من هذا الغرض مجالاً واسعاً لشعر الدعوة إلى العقيدة الإسلامية ونبذ غيرها من المذاهب والاتجاهات المدمرة الهدامة للإنسان[2].د

يقول الإلبيري:

وَكَم ذيبٍ نُجاوِرَهُ ولَكِن *** رَأَيتُ الذِئبَ أَسلَمَ مِن فَقيهِ

وَأَيأَسَني مِنَ الأَيّامِ أَنّي *** رَأَيتُ الوَجهَ يَزهَدُ في الوَجيهِ

فَآثَرتُ البِعادَ عَلى التَّداني *** لأَنّي لَم أَجِد مَن أَصطَفيهِ[3]

يقول الشاعر الذئب أسلم من فقيه من طلاب الدنيا، المتاجرين بعلمهم، وقد كانت الأندلس – آنذاك – مؤوفة بنفر من الفقهاء والأدباء ومشتهي السلطة الساكتين عن هفوات الحكام وأخطائهم المنجرفين مع محبة الدنيا المستغرقين في ملذاتها ومثل هؤلاء لا يسلمون من سياط ورماح الألبيري التي يوجهها إليهم، فالفقيه إذا جرى وراء الدنيا وملذاتها لا شك أنه يهمل الدور المناط به في توجيه المجتمع وتقويمه.

أيضاً افتتن الشاعر بالصوفية، وللصوفية أدب غزير تخالف خصائصه خصائص الآداب الأخرى، ومن خصائصه:

---

(1) د. علي علي صبح ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب اللإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص ٦٠.

(2) د. علي علي صبح ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، ص ٦٠.

(3) الإلبيري، ديوانه، ص ٦٤.

السمو الروحي، والمعاني النفسية العميقة، والخضوع التـــام لإرادة الله القوية، وبعد الخيال، وغموض المعاني الرمزية والشعر الصوفي نـــوع مـــن الشعر يكون إلهياً محضاً، تستخدم فيه المادة الشعرية للرمز عـــن الحقـــائق، وهو شعر مؤول، لا يقصد ظاهرة، وإنما له محامل يحمل عليها وتليق به[1].

يروي أن الإمام العارف محي الدين بن عربي[*] قال:

يـــا مـــن يرانـــي ولا أراه *** كـــم ذا أراه ولا يرانـــي

فلما سمع بعض إخوانه هذا البيت سأله، كيف تقول: إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك؟ فقال ابن عربي مرتجلاً:

يـــا مـــن يرانـــي مجرمـــاً *** ولا أراه آخـــــذاً

كـــم ذا أراه منعمـــاً *** ولا يرانـــي لا ئـــذاً[2]

فمن هذا الخبر يتضح أن الشعر الصوفي أو الإلهي لا يفهم على سبيل التأويل، فالإلبيري يستصحب معه معية الله سبحانه وتعالى في كل حركاتـــه لذلك دعا دعوة أحسبها صادقة لصلاح المجتمع وقتذاك.

يقول الإلبيري:

لا قُوَةٌ لِيَ يـــا رَبّـــي فَأَنتَصِـــرُ *** وَلا بَـــراءَةَ مِـــن ذَنبـــي فَأَعتَـــذِرُ

فَإِن تُعاقِب فَأَهـــلٌ لِلعِقـــابِ وَإِن *** تَغفِر فَعَفـــوُكَ مَـــأمولٌ وَمُنتَظَـــرُ

إِنَّ العَظيمَ إِذا لَم يَعـــفُ مُقتَـــدِراً *** عَنِ العَظيمِ فَمَن يَعفـــو وَيَقتَـــدِرُ[3]

الأبيات فيها استسلام العبد المؤمن لله تعالى وتسليم لحكمه وقضـــائه، ودعاء بالعفو والمغفرة.

---

(1) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيـــروت، ط الثانية، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ٢٢٦.

(*) محي الدين (ابن عربي) هو محمد بن علي (٦٣٨١هـ) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ١٨٩.

(2) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص ٢٢٦.

(3) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣٦.

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن أهل الأندلس أصحاب علم وثقافة بدليل قول صاحب نفح الطيب إذ يقول: "ولو لم يكن للأندلسين غير كتاب "شذور الذهب" لكفاهم دليلاً على البلاغة ومؤلفه هو علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الأنصاري، الجياني، نزيل فأس، وولي خطابتها،".

ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ وفصاحة ألفاظ، عذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: أن لم يعلمك صناعة الذهب علمك الأدب. وفي عبارة بعضهم إن فاتك ذهبه لم يفتك أدبه[1].

كذلك الخصومة بين المشارقة وأهل الأندلس ولعل العبارة التي أطلقها الصاحب بن عباد نقداً لكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه "هذه بضاعتنا ردت إلينا" تمثل الموقف الأدبي للمشارقة من جهود الأندلسين الأدبية، لأن عبارة الصاحب تكشف عن عمق الرغبة في التعرف إلى أدب الأندلسين الذي جاء العقد مبدداً لها في عدم العناية بأدب الأندلس عناية كاملة، فلعل مثل هذا باعث قوى ومؤثر في قرض الشعر لأبي إسحاق ورفاقه من الشعراء[2].

ويضاف إلى ما ذكر إدراك ملوك الطوائف بأن أمرهم لن يدوم طويلاً، فمالوا إلى اللهو والملذات والترف والمجون وبناء القصور واقتناء الجواري، مما أوجد مجالات عديدة لقول الشعر الذي يصف هذه المظاهر الاجتماعية أو يتأثر بها. وكذلك كانت الأحداث السياسية الخطيرة التي شهدتها الأندلس في هذا العصر من تعاظم خطر قشتالة، واستغراق ملوك الطوائف في نزاعاتهم وضعفهم، ثم دفعهم الجزية لملك قشتالة ألفونسو السادس.

---

(1) الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص ١٤١.

(2) د. مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص ٨٢.

ثم سقوط عدد من المدن الأندلسية عاملاً أساسياً في دفع الشعراء نحو موضوع النقد السياسي ورثاء المدن والحث على الوحدة وغير ذلك.

ويظهر أن سوء حال المسلمين في عصر ملوك الطوائف قد أوحى لغير شاعر أندلسي بالحديث عن ظهور الأعور الدجال، إذ اعتقدوا أن ضعف المسلمين إلى تلك الدرجة من علامات قيام الساعة، ومن هؤلاء أبو الحسن[١] ابن نجد حيث يقول:

تحكمت اليهود على الفروج *** وتاهت بالبغال وبالسروج

وقامت دولة الأنذال فينا *** وصار الحكم فينا للعلوج

فقل للأعور الدجال هذا *** زمانك إن عزمت على الخروج

ولعل الأزمة الفاصلة التي تعرض لها الإسلام الأسباني، وأدت إلى انهيار الخلافة الأموية في قرطبة، وتناثرها دويلات صغيرة، وجرينا على تسميتها (دول الطوائف) لم تترك من الأثر البالغ في أي جانب من حياة أسبانيا العربية، كما تركته في كورة غرناطه.

ولكي تبلغ الأمور قمة السوء، توجت بعامل ثالث أشد تعقيداً، يتمثل في تغير العاصمة، فمنذ عام ٤٠١هـ تحولت مدينة إلبيره إلى أطلال.

على حين كانت العاصمة الجديدة لغرناطه تشق طريقها إلى الوجود شيئاً فشيئاً، حول قلعة الحمراء، والتي عرفت بهذا الاسم لاحمرار مبانيها، وقدر للعاصمة الجديدة أن تحظى بمستقبل لامع، بعد أن أصبحت الملاذ الأخير للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

ولم يحدث أبداً أن أياً من كبار الشعراء خارجها، فكر أن يرتحل إليها، ليمدح عبثاً أمراءها البربر، أو وزراءها اليهود، أما الشعراء المقيمون، فكان عليهم إما أن يخضعوا، كما صنع المنفتل، أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة،

---

(١) د. صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م، ص ٣٢.

وينظموا الشعر ويتعرضوا لمقت المـؤرخين المتـأخرين وسـخطهم أو أن يهاجروا، كما فعل السميسر، خلف بن فرج الألبيري فقد رحل بعد أن هجـا حكامها هجاءً قاسياً:

رَأَيتُ آدَمَ في نَومِي فَقُلتُ لَـهُ *** أَبا البَرِيَّةِ إِنَّ الناسَ قَـد حَكَمـوا
أَنَّ البرابر نسل مِنـكَ قـالَ إِذاً *** حَوّاءُ طالِقَةٌ إِن صح ما زَعَموا[1]

الشاعر الوحيد ذو الأهمية في غرناطه بني زيري، لم يكن بالطبيعـة شاعراً يتغنى بالحب، أو بالخمر، أو بالترف المصفى، كما عند بقيـه ملـوك الطوائف بل ولا شاعر بلاط مداحاً، وإنما كان صدى صادقاً لواقع المدينـة، كان شاعر المعارضة والزهد والسياسة ومناهضة نفوذ اليهود، ذلك الشـاعر هو أبو إسحاق الألبيري[2].

---

(1) إميليو غرسيه غومث، مع شعراء الأندلس والمتنبي نقله إلى العربية: د. الطاهر أحمد مكـي، دار الفكر العربي ٩٤ شارع عباس العقاد، مدينة نصر القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٤م، ص ٨٥.

(2) المصدر السابق، نفس الصفحة، ص ٨٥.

المبحث الرابع
الخيال والصورة الشعرية

روى ابن رشيق أن بعض النقاد مثلوا المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة، فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مبصرها[1]، ويرى الجرجاني أن الصورة الشعرية: "تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[2].

ولقد اهتم القدماء بأمر التصوير في شعرنا العربي وأول قول نقدي يعتد به في هذا المجال قول الجاحظ: "إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[3].

وترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها أو على معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، والمصور من أسماء الله تعالى وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شيء منها صورةً خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها[4]، والصورة بهذا المعنى يفصح عنها بواسطة اللفظ وما فيه من بيان وإيضاح وذلك عن طريق اشتمالها على الحلي البيانية التي تجعلها صورة حسناء ذات تأثير على المتلقي، وهذا التأثير يتأتى بعدم فصل الصورة عن إحساس الشاعر، وعن ذلك قال الدكتور محمد غنيمي

---

(1) ابن رشيق، العمده، ج1، ص ١٢٧.

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق: محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة مصر، ١٩٦١م، ص ٣٣٠.

(3) الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج٣، ط ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص ١٣٢.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ط ٢٠٠٠م، دار صادر، ص ٣٠٣.

هلال[*]: "لا يصح بحال من الأحوال الوقوف عند التشابه الحسي بين الأشياء من مرئيات أو مسموعات أو غيرها دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر في نقل تجربته"[١].

ومجال الصورة الشعرية فسيح فالشاعر الجيد يستطيع أن يبدع صوراً لا حصر لها بخياله الإبداعي الخلاق، وأدواته في ذلك الإبداع ما تقوم عليه لغة الشعر من تشبيه، واستعارة وكناية ومجاز وغيرها.

وبها استطاع شاعرنا نقل تجاربه في صور عكست أفكاره ومشاعره الوجدانية وتجاربه النفيسة.

أولاً: التشبيه:

والتشبيه في اللغة يقال هذا شبه أي شبيهه والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات[٢]، وعند البلاغيين هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب[٣].

ومن أمثلة التشبيه عند شاعرنا قوله:

تزلزلت بهم المنابر بعدما *** ثبتت وكانوا فوقها كجبال[٤]

فشبه الممدوحين بالجبال ووجه الشبه بينهما الثبات في كلٍ وقوله:

(*) محمد غنيمي هلال أتم دراساته بدار العلوم ثم ذهب في بعثه إلى فرنسا لدراسة الأدب المقارن وفي عام ١٩٥٢م عين مدرساً بكلية دار العلوم ثم أصبح أستاذاً للنقد بكلية اللغة العربية بالأزهري توفى عام ١٩٦٨م، الدليل الببلوجرافي للقيم الثقافية العربية المعاصرة، إعداد نخبة مختارة من الأساتذة، ج١، ص ٣٦٢.

(١) النقد الأدبي الحديث، دار الشعب القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٠٥.

(٢) الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٣٢٨.

(٣) أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، حققه وضبط نصه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط ١٩٨١م، ص ٢٦١.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٤٧.

كانَت وجوهُهُمُ كَأَقمـــارِ الـــدُجا *** فَغَدَت مُسَــجّاةً بِثَــوبِ دُجــاكِ[1]

وهنا أيضاً شبه وجوه الممدوحين بأقمار الدُجى، واستعمل أداة التشبيه الكاف ووجه الشبه بينهما الإضاءة والإشراق.

وكذلك قوله:

فَكَأَنَّهُم مِثلُ الــذُبابِ تَســاقَطَت *** في الأَري حَتّى اِستُؤصِلوا بِهَلاكِ[2]

شبه المهجوين بالذباب في تساقطهم على الأرى وهو العسل ووجــه الشــبه الدناءة والحقارة في كلٍ.

ثانياً: الاستعارة:

والاستعارة في اللغة استعار الشيء منه: طلب أن يعطيه أياه عاريــةً. ويقال استعاره إياه[3]، وعند البلاغيين هي نقل العبارة عن موضع اســتعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض[4].

وهي تنقسم إلى قسمين:

(أ) **استعارة تصريحية**: وهي ما حذف منها المشبه وذكر المشبه به[5].

كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾. (سورة الفاتحــة: ٦). فقــد شبه الدين بالسراط بجامع التوصيل إلى الهدف في كل ومن أمثلة ذلك عند شاعرنا قوله:

وَيَجلو ما دَجا مِن لَيــلِ جَهلــي *** بِنورِ هُــدىً كَمُنــبَلِجِ الصَــباحِ[6]

---

(1) الإلبيري،ديوانه ، ص ٤٢.

(2) المصدر السابق نفسه، ص ٤١.

(3) المعجم الوسيط، قام بإخراجه، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القــادر ومحمــد علي النجار، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ص ٣٣٦.

(4) العسكري، الصناعتين، ص ٢٩٥.

(5) د. فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، الطبعة العاشرة ٢٠٠٥م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص ١٧٩.

(6) المصدر السابق، ص ٤٨.

شبه الجهل بالليل بجامع الظلام في كل على سبيل الاستعارة التصريحية.

(ب) **استعارة مكنية:** وهي التي حذف منها المشبه به وذكر المشبه[1].

كقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ...﴾. (سورة الإسراء: ٢٤). ومن أمثلتها عند شاعرنا قوله:

إِنّي أَرِقتُ لَهُنَّ لا لِحَمائِمٍ *** تَبكي الهَديلَ عَلى غُصونِ أَراكِ[2]

فشبه الإنسان بالحمام ورمز بشيء من لوازمه وهو البكاء على سبيل الاستعارة المكنية.

ثالثاً: الكناية: الكناية في اللغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكني عن الأمر بغيره يكنى كناية، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه[3]. عند البلاغيين هي أن تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له وتأتي بتاليه وجوداً لتومي به إليه وتجعله شاهداً ودليلاً عليه[4]، وتنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام:

(أ) كناية عن صفة:

وهي أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة وإنما تريد لازمها ومن هذا قولهم "فلان جبان الكلب مهزول الفصيل" كناية عن الكرم[5].

وكقول الآخر:

يَكادُ إِذا ما أَبصَرَ الضَيفَ مُقبِلاً *** يُكَلِّمُهُ مِن حُبِّهِ وَهوَ أَعجَمُ

---

(1) د. فضل حسن البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٨٠.

(2) الإلبيري، ديوانه، ص ٤٣.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٢٤.

(4) ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م، ص ٣٧.

(5) د. فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، ط العاشرة ٢٠٠٥م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص ٢٤٧.

ومن أمثلة ذلك عند شاعرنا قوله:

وَإن أوتيتَ فيــهِ طَويــلَ بــاعٍ *** وَقالَ النــاسُ إِنَّــكَ قَــد سَــبَقتا[١]

صوّر بأسلوب الكناية الإنسان الذي له إلمام بالأمر بأنه طويــل بــاعٍ وهي كناية عن صفة.

(ب) كناية عن موصوف:

وهي أن نذكر الصفة والنسبة ولا نذكر الموصوف المكنى عنه، والغرض من ذكرها أن نتوصل بها إلى الموصوف المحذوف المكنى عنــه كقــول شوقي[*]:

وَلي بَــينَ الضُــلوعِ دَمٌ وَلَحــمٌ *** هُما الواهي الَّذي ثَكِلَ الشَــبابا [٢]

كنّى عن القلب بالدم واللحم وهي كناية عن موصوف.

وعند شاعرنا كقوله:

وَإن فَرَّقتَهــا وَخَرَجــتَ مِنهــا *** إِلى دارِ السَــلامِ فَقَــدَ سَــلِمتا[٣]

صور بأسلوب الكناية الجنة بأنها دار السلام وهي كناية عن موصوف.

(ج) كناية عن نسبة:

النسبة هي إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، فالنسبة في قولنا "المؤمنون أعزاء" هي إثبات العزة للمؤمنين وفي قولنا "المؤمن ليس جباناً" النسبة نفــي الجبن عن المؤمن[٤].

---

(١) الألبيري ديوانه، ص ٢٦.

(*) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي يلقب بأمير الشعراء أشهر شعراء العصر الأخيــر مولــده ووفاته بالقاهرة ومن آثاره الشوقيات أربعة أجزاء ودول العرب ومصــرع كيلوبــاتره، الزركلــي، الأعلام، ج١، ص ١٣٦.

(٢) أحمد شوقي، الشوقيات، ج١، ١٩٧٠م، المكتبة التجارية الكبرى، ص ٦٨.

(٣) الألبيري ديوانه، ص ٣٥.

(٤) ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان، ص ٢٤٩.

ومثالها عند شاعرنا قوله:

وَضافي ثَوبِـــكَ الإِحســـانُ لا أَن *** تُرى ثَوبَ الإِساءَةِ قَـد لَبِســتا [١]

لم ينسب الإحسان إلى ممدوحه مباشرةً ولكن نسبه إلى شيء غريـب منه وهو الثوب.

فالواقع أن الصورة الشعرية قد تنقل إلينا إنفعـال الشـاعر "تجربتـه الشعورية" ولكنها كذلك تنقل إلينا الفكرة[٢]، ومن أهم المقومات التي تنشأ عليها الصورة عنصر الخيال فهي محصلة الفعل التخيلي وأداته ووسيلته[٣]، والخيال في اللغة: هو كل شيء تراه كالظل، ولذلك خيال الإنسان في المرآة، وخيالـه في المنام صورة تماثله، ربما مر بك الشيء شبه الظل فهو خيال[٤].

وفي ، الاصطلاح هو "القوة التي بواسطتها تستطيع صور معينـة أو أحاسيس في "القصيدة" فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر، وهـذه القوة التي هي أسمى الملكات الإنسانية تتجزأ أشكالاً مختلفة، منها العـاطفي العنيف ومنها الهادي الساكن، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعـث علـى المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة بينما تفتقد هذه الوحدة في وصف الرجل العادي الذي لا تتوفر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء، إذ نجـده يصفها وصفاً بطيئاً الشيء تلو الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة[٥]، إن ارتباط العاطفة بالصورة داخل العمل الفني هو ارتباط حي ناشيء عن معاناة الفنان لموقف نفسي معين، وإنما العاطفة في العمل الفني هي تجسيد للحظة شعورية معينة يسيطر عليها الفنان ويخضعها للصورة كما يخضع الصورة لها بحيث

---

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٦.

(٢) د. عز الدين إسماعيل، انظر الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص ١٣٢.

(٣) د. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي يبن القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعـة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٩٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ١٩٣.

(٥) د. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص ١٠٠.

يصبح الشعور هو الشعور المصور والصورة هي الصورة المحسوس بها من أجل هذا قال كروتشه(*): "إن الفن هو تركيب فني نستطيع أن تقول بصدده أن العاطفة بدون صورة عمياء، والصورة بدون عاطفة فارغة"[١].

ويقول أرسطو(*): "الشيء قد يكون محسوساً عندما يشاهد، ثم يكـــون متخيلاً عند غيبته بتمثل صورته في الباطن... وأما الخيال الباطن فيخيله مع عوارض الأين والمتى والوضع والكيف"[٢]. وأساس الفن هو القـــدرة علـــى تكوين الصورة الذهنية، فمتى تصور الفنـــان بذهنـــه صـــورة تعبّـــر عـــن موضوعه، فقد تمت له الفاعلية الفنية [٣].

وأحسب أن الصورة الذهنية قد اكتملت لدى شـــاعرنا عنـــد إحساســـه بفراق زوجته مدعمةً بخيال خصب فلذلك جاءت قصيدته فيها تتدفق عاطفـــة وحنيناً ووفاءً لتلك الزوجة التي تركت فراغاً لا يملي عند شاعرنا فقال:

عُج بِالمَطيِّ عَلى اليَبابِ الغـــامِرِ *** وَاِربَع عَلى قَبرٍ تَضَـــمَّنَ نـــاظِري
وَاِقرَ السَلامَ عَلَيهِ مِن ذي لَوعَـــةٍ *** صَدَعَتهُ صَدعاً ما لَهُ مِـــن جـــابِرِ

(*) كروتشه بنديتو: فيلسوف ومؤرخ وناقد إيطالي، نزع إلى مثاليه هيجل، عارض الفاشيه واعتـــرى الحياة حتى تزعم حزب الأحرار، وله كتب "فلسفة الروح" و"علم الجمـــال" و"المنطـــق" الموســـوعة العربية الميسرة، ج١٣، الطبعة الثانية المحدثة، دار الجيل، بيروت – القـــاهرة – تـــونس، الجمعيـــة المصرية لنشر الثقافة العالمية، ص ١٩٥١.

(١) د. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص ١٠١.

(*) أرسطو بن نيقوماخوس ولد ببلدة سطاغيرا شمال اليونان وتوفى أبوه وهو حدث تلميذ أفلاطون وكان يلقبه بالعقل لشدة ذكاءه و "القراء" لسعة إطلاعه، د. عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة، تونس، ص ٣٥.

(٢) د. عاطف جودة نصر، الخيال مفهومه ووظائفه، الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، ١٩٨٤م، ص١٣.

(٣) انظر الموسوعة العربية الميسرة، ج٣، ط٢/ دار الجيل بيروت – القـــاهرة – تـــونس، الجمعيـــة المصرية لنشر الثقافة العالمية، ص١٩٥١.

فَعَساهُ يَسمَحُ لي بِوَصلِ في الكَرى *** مُتَعاهِــداً لِـــيَ بِالخَيـــالِ الزائـــرِ

إِنِّـــي لأَســـتَحييهِ وَهُـــوَ مُغَيَّـــبٌ *** فـــي لَحـــدِهِ فَكَأَنَّـــهُ كَالحاضِـــرِ

قَطَعَ الزَمانَ مَعي بِأَكرَمِ عِشــرَةٍ *** لَهفي عَلَيـــهِ مِـــن أَبَـــرٍّ مُعاشِـــرِ

وَلَـــو أَنَّنـــي أَنصَـــفتُهُ فـــي وُدِّهِ *** لَقَضَيتُ يَومَ قَضى وَلَم أَستَأخِرِ [١]

ولا نريد أن نستقصي كل صور أبي إسحاق في ديوانه وإنما نريد أن نضرب مثال لعله قد يكون أدى الغرض المنشود، ورغم ذلك من يتصفح ديوان أبي إسحاق الألبيري يلحظ أن حظه من الخيال كان ضعيفاً، وهذا يرجع في تقديري إلى طبيعته فهو عالم وفقيه والعلماء يأبون ذلك الخيال الجامح الذي يخرج بهم عن عالم الحق والحقيقة[٢]، فالرجل مشغول بالتغيرات التي كانت تحدث على خارطة المجتمع المسلم آنذاك ، وإرساء قواعده، من ضعف المسلمين واستبداد اليهود، ووهن الإنسان المسلم، ولم يتفرغ ليحلق في عالم الخيال.

---

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٠.

(٢) انظر أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، فتحي عبد الفتاح، ط القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٤١، بتصرف.

المبحث الخامس
موسيقى القصيدة الشعرية

اتخذت الإنسانية قديماً الموسيقى وسيلة تعبر بها عن عالمها الوجداني، والإنسان بفطرته ميال إلى الإحساس بالجمال وكل شيء يؤثر على وجدانه بالراحة والسعادة، ويمكننا أن نوثق كلمة "موسيقى" من القرآن الكريم وإن لم ترد كلمة "موسيقى" وإنما وردت كلمة سامدون وهي تعني اللهو والغناء في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾. (سورة النجم: ٦١) . وقال بعضهم لجاريته: اسمدي لنا: أي غني لنا(١).

ولعلماء الفلسفة والفن والموسيقى تعريف لكلمة "موسيقى" وماذا تعني عندهم "أما علم الموسيقى فإنه يشتمل بالجملة على تعريف أصناف الألحان وعلى ما منه تؤلف، وعلى ماله ألفت وكيف تؤلف وبأي أحوال يجب أن تكون حتى يصير فعلها أنفذ وأبلغ"(٢).

الموسيقى الخارجية:

الأوزان:

الشعر فن من الفنون الجميلة مثل التصوير والموسيقى والنحت، وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان، وهو جميل في تخير ألفاظه، جميل في تركيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه، وانسجامها

---

(١) الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج٤، ص٤١٩.

(٢) الفارابي، إحصاء العلوم، حققه وقدم له: د. عثمان أمين، الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩م، الناشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، ص ٨٦.

بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الأذان موسيقى ونغماً منتظماً، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام[١].

وقد ارتبط الشعر قديماً بالغناء لأنهما في حقيقة الأمر يصدران عن العاطفة فنجد أيضاً في الغناء موسيقى النغمات والألحان، وفي الشعر موسيقى الألفاظ والأوزان فالشعر العربي منذ العصر الجاهلي تسيطر عليه الموسيقى وأبياته مقسمة إلى مقاطع متوالية متناسقة، وقوافيه مستقرة في مكانها محوطة بسياج من الشروط تركها لنا العروضيون، جوهرها أن تكون متحدة في القصيدة كلها من حيث الحركات والسكنات[٢].

والشعر العربي يختلف عن غيره حيث توفرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور الشعرية والأعاريض، وفن الشعر العربي (يناسب هذه اللغة الشاعرة التي انتظمت مفرداتها وتراكيبها ومخارج حروفها على الأوزان والحركات وفصاحة النطق بالألفاظ، فأصبح لها من الشعر الموزون فن مستقل بإقاعة عن سائر الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات) [٣].

والنظم العربي يقوم على عمادين هما: البحر والقافية ويتكون البحر عادة من عدد من المقاطع الطويلة والقصيرة منظمة بطريقة خاصة، والقافية هي الحرف الذي يجيء في آخر البيت، وبحور الشعر العربي محصورة

---

(١) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، الطبعة السادسة ١٩٨٨م، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة، ص ٧.

(٢) د. سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، القاهرة مكتبة غريب، ١٩٧٧م، ص ١٢٢.

(٣) عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، قضايا الفن والتعبير في اللغة العربية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م، ص ٣٠.

العدد، ولا سبب لهذا الحصر إلا اتفاق العلماء وتواضعهم، فقد اخترع الخليل[*] بن أحمد علم العروض وبناه على خمس دوائر هي:

(١) (فعُولُن مفَاعَيلُنْ فعُولُن مفَاعَيلُنْ) × ٢

(٢) (مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ) × ٢

(٣) (مُستَفْعِلُنْ مُستَفْعِلُنْ مُستَفْعِلُنْ) × ٢

(٤) (مُستفعِلنْ مُستفعِلنْ مَفعُولاتُ) × ٢

(٥) (فُعولُنْ فُعولُنْ فُعولُنْ فُعولُنْ) × ٢ [١].

واستخرج من هذه الدوائر خمسة عشر وزناً أسماها بحوراً ثم أدخل كل الأوزان المستعلمة – كما زعم – في نطاق بحوره الخمسة عشر.

وقد استدرك عليه الأخفش وزناً سادس عشر استخرجه من الدائرة الخامسة هكذا: لن فعولن فعو إلخ، وتساوي: فاعلن الخ. ولم يزد العلماء بعد الأخفش[٢].

وشاعرنا الألبيري التزم بهذه الدوائر العروضية ولم يخرج عن هذه الدوائر فقد نظم شعره نظماً عروضياً على بحور الخليل.

ففي الكامل نظم عشرة قصائد وهو كما قال عنه الدكتور عبد الله الطيب من الأبحر الذلل ونظمهم فيه كثير وطوالهم منه لا تكاد تحصى[٣]. وأيضاً نظم في الوافر ستّ قصائد، وما يتميز به هذا البحر أنه فيه نغمة قوية تسلبه مزية الإطراب الذي في المتقارب ولكنها تعوضه تعويضاً عظيماً عن

(*) الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن الفراهيدي، والفراهيد صغار الغنم، نحوي، لغوي، عروضي، استنبط من علم العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد. الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، أنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١، ص ٣٤٣.

(١) د. عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط الرابعة، ١٩٩١م، ج١، ص ١٥.

(٢) د. عبد الله الطيب، المرشد، ج١، ص ١٥.

(٣) د. عبد الله الطيب، المرشد، مطبعة ومكتبة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ ، ج١، ص ١٠٥.

هذا النقص، بأن ترشحه للأداء العاطفي سواء إن كان ذلك في الغضب الثائر والحماسة أم في الرقة الغز ليه والحنين[١].

كذلك في السريع له ستّ قصائد وما يمتاز به هذا البحر عن أقرانه أن الناظم فيه يحتاج إلى البطء والتأني، وقد يوقعه هذا في التكلف والتقعر إن لم يلائم بين أغراضه ونغماته[٢].

وفي الطويل له خمس قصائد وهذا البحـــر يعتبـــر ميـــدان للوصـــف والملحمة والتأمل والبلاغة الحرة، من غير ما اعتماد على دندنة النغم، وجلبة التفاعيل[٣].

وله في المتقارب ثلاثة قصائد وهو بحر تغن من النوع المنساب المتفق وأنه من أيسر البحور لمن يريد النظم، وأعصـــاها لمـــن يحـــاول الإحســـان والإتقان لما يتطلبه من سلامة الطبع وامتداد النفس[٤].

أما الخفيف فنظم فيه قصيدتان وهذا البحر اختلفت أغراضه بين طرفي الغزل والحماسة، والمديح والهجاء، والرثاء والفخر، ومع هذا فقـــد كـــان ذا طابع واحد في جميع هذا، من وضوح النغم واعتداله، بحيث لا يبلغ حد اللين ولا حد الضعف ولكن يأخذ من كل بنصيب[٥].

القوافي: القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية، هذا (رأي) من رأي أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه[٦].

---

(١) د. عبد الله الطيب، المرشد، مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٤، ١٩٩١م، ص ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠٨.

(٤) د. عبد الله الطيب، المرشد، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، ط الأولى ١٣٧٤هـــ – الجزء الأول، ص ١٣٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٦) ابن رشيق، العمده، ج١، ص ١٥١.

وتمثل القوافي جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطـرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خـاص يسـمى بالوزن، وقد حاول أهل العروض تحديد القافية، واتخذوا لذلك تعريفاً لا يخلو من الصنعة والتكلف[١].

وإن موسيقى الشعر تكتمل بالأصوات المكررة وإن نظام القافية ليست كما زعمه النقاد والشعراء المعاصرون بأنه قيد ثقيل يمنع من التعبير الصحيح ويشغل الشاعر عن الاسترسال[٢].

في معانيه بالتفتيش عن أحرف الروي المناسبة، وهذه الحجة في ذاتها ضعيفة، لأن اللغة العربية واسعة جداً.

وبنيتها تساعد على كثرة القوافي وتنوعها إذ فيها أكثر من ستين ألـف أصل ثلاثي ورباعي[٣].

القوافي الذلل:

هي الباء، والتاء، والدال، والراء، والعين، والمـيم، المتبوعـة بـألف الإطلاق، والإجادة فيها عسيرة ليسـرها ومـا يتبـع ذلـك مـن الإسـهاب والثرثرة[٤].

ونظم شاعرنا في قافية الباء أربع قصائد جاءت مطالعها كالآتي:

أَينَ المُلوكُ وَأَينَ ما جَمَعوا وَمـا *** ذَخَروهُ مِن ذَهَبِ المَتاعِ الذاهِبِ [٥]

---

(١) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ٢٤٦.

(٢) د. عبد الله الطيب، ديوان بانات رامه،

(٣) د. عبد الله الطيب، ديوان بانات رامه، ص ٢٦.

(٤) د. عبد الله الطيب، المرشد، ج١، ص ٢٠.

(٥) الألبيري، ديوانه، ص ٣٢١.

والقصيدة الثانية مطلعها:

تُغـــازِلُني المَنيَّـــةُ مِـــن قَريـــبِ *** وَتَلحَظُنـــي مُلاحَظَـــةَ الرَقيـــبِ [1]

والثالثة بعنوان:

أَلِفتُ العُقـــابَ حِـــذارَ العِقـــابِ *** وَعِفتُ المَوارِدَ خَوفَ الـــذِئابِ [2]

والرابعة بعنوان:

يُضَيَّعُ مَفروضٌ وَيُغفَلُ واجِـــبُ *** وَإِنّي عَلى أَهلِ الزَمانِ لَعاتِـــبُ [3]

وله في التاء ثلاث قصائد الأولى مطلعها كالآتي:

كَأَنّي بِنَفسي وَهيَ في السَـــكَراتِ *** تُعالِجُ أَن تَرقى إِلَـــى اللَهَـــواتِ [4]

والثانية:

تَفُـــتُّ فُـــؤادَكَ الأَيّـــامُ فَتّـــا *** وَتَنحِتُ جِسمَكَ الساعاتُ نَحتـــا [5]

والثالثة:

قـــالوا أَلا تَســـتَجِدُّ بَيتـــاً *** تَعجَبُ مِـــن حُســـنِهِ البُيـــوت [6]

وفي قافية الدال له قصيدتان:

تَمُرُّ لِداتي واحِـــداً بَعـــدَ واحِـــدِ *** وَأَعلَمُ أَنّي بَعدَهُم غَيـــرُ خالِـــدِ [7]

والثانية:

فَإِنَّ الرَدى غـــالَ أَهـــلَ التُقـــى *** فَلَم يَبـــقَ إِلا الغَشـــومُ العَنيـــد [8]

---

(1) الإلبيري، ديوانه، ص ٧٢.

(2) نفسه، ص ٣٦.

(3) نفسه، ص ٨٥.

(4) نفسه، ص ٥٩.

(5) نفسه، ص ٢٤.

(6) نفسه، ص ٧٠.

(7) نفسه، ص١١٨.

(8) نفسه، ص١٣٥.

وله في الراء قصيدتان:

الأولى مطلعها:

وَيلٌ لأَهلِ النارِ في النارِ *** ماذا يُقاسونَ مِنَ النارِ [١]

والثانية:

عُج بِالمَطيِّ عَلى اليَبابِ الغامِرِ *** وَاِربَع عَلى قَبرٍ تَضَمَّنَ ناظِري [٢]

القوافي النفر:

وهو الصاد، والزاي، والضاد، والطاء، والهاء الأصلية، والواو.

أما الزاي فجاءت فيها كلمات نادرة كزائية الخنساء[*] في صخر[٣].

تَعَرَّقَني الدَهرُ نَهساً وَحَزّاً *** وَأَوجَعَني الدَهرُ قَرعاً وَغَمزا

وشاعرنا لم يأت بشيء في هذه القوافي سواء قصيدة واحدة وقافيتها الزاي ومطلعها:

لَبَرَّزتُ في مَيدانِ كُلِّ بِطالَةٍ *** وَبَرَّزَ غَيري في التُقى أَيَّ تبريزِ [٤]

القوافي الحوش:

هي الثاء، والخاء، والذال، والشين، والظاء، والغين، وكلها قد ركبها الشعراء، فلم يجيئوا إلا بالغث[٥].

وشاعرنا لم يركب هذه القوافي ليس عن ضعف، وإنما هو صاحب قضية لذلك أحسب أنه عمد في شعره إلى ما يفهمه الناس ويوصل به دعوته.

([١]) الإلبيري، ديوانه، ص١٠١.

([٢]) نفسه، ص٩٠.

(*) تماضر بنت الشريد شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج١، مؤسسة الرسالة، ص١٧٦.

([٣]) د. عبد الله الطيب، المرشد، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، ط٤، ١٩٩١م، ج١، ص٧٥.

([٤]) ديوانه، ص٨٢.

([٥]) د. عبد الله الطيب، المرشد، ج١، ص٧٩.

الموسيقى الداخلية:

المراد بالموسيقى الداخلية الرنين والإيقاع الداخلي والذي ينسجم مع الأوزان الخارجية من أوزان البحور والقوافي حتى يشكل الجميع وحدة موسيقية واحدة ومتكاملة، وأن ناحية التنغيم والرنة في الشعر وحدها لا تكفي للانسجام فلابد بين رنين الوزن ورنين اللفظ الملقي عليه.

(ولم يكن الشاعر الجاهلي يكتفي بإيقاع القافية والوزن في قصيدته، بل كان يضم إلى ذلك إيقاعاً داخلياً في صياغتها، كان يلتمسه في انسجام الألفاظ بحيث يعمها الاستواء والتناسق)[١].

وإن الانسجام هو الذي يوجد بين الموسيقي الخارجية وأعني بها الأوزان والقوافي، والموسيقى الداخلية وهي الإيقاع والرنين (وإن الانسجام هو سر ينبعث من نفس طبيعة الوحدة والتباين ونقيضه الاضطراب والتشويش)[٢].

الجناس: الجناس الضرب من كل شيء، ويقال هذا يجانس هذا، أي يشاكله[٣].

وعند البلاغيين هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو نوعان:

الجناس التام:

وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها مع اختلاف المعنى[٤].

---

(١) الدكتور شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، ط الثالثة، دار المعارف، الناشر دار المعارف، ١١١٩، كورنيش النيل، ج. م. ع، ص٣٠٥.

(٢) د. عبد الله الطيب، المرشد، دار النشر جامعة الخرطوم، ط٤، ١٩٩١م، ص٥٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة مصححة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصاوي العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ج٢، ص٣٣٨.

(٤) السيد المرحوم أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٣٩٦.

أما الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة[1].

ومن أمثلة الجناس عند شاعرنا:

(أ) **الجناس التام:**

في قوله:

فَكَم ذا أَنتَ مَخدوعٌ وَحَتّى *** مَتى لا تَرعَوي عَنها وَحَتّى [2]

الجناس تام في قوله: (حتى وحتى).

وفي قوله:

أَنتِ السَرابُ وَأَنتِ داءٌ كامِنٌ *** بَينَ الضُلوعِ فَما أَعَزَّ دَواكِ [3]

الجناس تام في قوله: (أنت وأنت).

وفي قوله:

وَقَد أَردَفتُها سِتّاً حِساناً *** وَكانَت قَبلَ ذا مِئَةً وَسِتّا [4]

الجناس تام في قوله: (ستا وستا).

(ب) **الجناس غير التام:**

وَلَئِن حُرِمتُ وَلَم يَفُز قِدحي بِها *** فَأَنا لَعَمرُ اللَهِ أَخسَرُ خاسِرِ [5]

الجناس في أخسر وخاسر وهو جناس غير تام.

أيضاً في قوله:

وَإِذا تَقَحَّمَ أَعزَلٌ في مَأزِقٍ *** كانَ الأَسيرَ وَلَم يَكُن بِالآسِرِ [6]

الجناس بين الأسير والآسر وهو جناس غير تام.

---

(1) السيد المرحوم أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٠٥.

(2) الإلبيري، ديوانه، ص٢٤.

(3) المصدر السابق، ص٤٢.

(4) المصدر السابق، ص٣٥.

(5) المصدر السابق، ص٩١.

(6) المصدر السابق، ص٩١.

كذلك في قوله:

ما يَشتَهي نَهداً ولَحظـاً فـاتِراً *** إلا خَلِـيٌّ فـي زَمـانٍ فـاتِرِ [1]

الجناس بين فاتراً فاتر، وهو جناس غير تام.

الطباق:

الطباق والمطابقة يقال (هذا طباق ذاك)، أي يطابقه ويوافقه[2].

وعند البلاغيين هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين، نحو: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ... ﴾. (سورة الحديد: ٣).

ومن أمثلة الطباق عند شاعرنا قوله:

تَنامُ الدَهرَ وَيحَكَ فـي غَطـيطٍ *** بِهـا حَتّـى إِذا مِـتَّ اِنتَبَهتـا [3]

الطباق بين تنام وانتبهتا وهو طباق إيجاب.

كذلك قوله:

وَتَجلو ما بِعَينِـكَ مِـن عَشـاها *** وَتَهـديكَ السَـبيلَ إِذا ضَـلَلتا [4]

الطباق بين تهديك وضللت وهو طباق إيجاب.

أيضاً قوله:

فَلَيسَـت هَـذِهِ الـدُنيا بِشَـيءٍ *** تَسوؤُكَ حُقبَـةً وَتَسُـرُّ وَقتـا [5]

الطباق بين تسوء وتسر وهو طباق إيجاب.

---

(1) الإلبيري ديوانه، ص٩٢.

(2) لويس معلوف، المنجد في اللغة، الطبعة السابعة والثلاثون، بيروت، ١٩٧٣م، ٤٠٦.

(3) المصدر السابق، ص٢٤.

(4) الإلبيري، ديوانه ، ص٢٥.

(5) المصدر السابق نفسه، ص٢٩.

طباق السلب:

وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي كقوله تعالى: ﴿... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾. (سورة الروم: ٦-٧).

وعند شاعرنا في قوله:

وَلَم أَشرَب حُمَيّاً أُمِّ دَفرٍ *** وَأَنتَ شَرِبتَها حَتّى سَكِرتا [١]

الطباق هنا بين لم أشرب وشربت وهو طباق سلب.

وأيضاً قوله:

وَلَم أَحلُل بِوادٍ فيهِ ظُلمٌ *** وَأَنتَ حَلَلتَ فيهِ وَانهَمَلتا [٢]

بين لم أحلل وحللت، وهو طباق سلب.

وكذلك قوله:

فَلا تَأخُذ بِتَقصيري وَسَهوي *** وَخُذ بِوَصِيَّتي لَكَ إِن رَشَدتا [٣]

الطباق هنا بين لا تأخذ وخذ وهو طباق سلب.

المقابلة:

ويقال لها التقابل، ويقال أيضاً استقبال ومقابلة القمر والشمس أن يكونا على استقامة مع الأرض، والأرض بينهما.

وعند البلاغيين هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[٤].

---

(١) الإلبيري ديوانه، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٥.

(٣) لويس معلوف: المنجد في اللغة، الطبعة السابعة والثلاثون، بيروت، ١٩٧٣م، ص٦٠٧.

(٤) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، علق عليه ودققه سليمان الصالح، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٣٢٩.

كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ* فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾. (سورة الليل: ٥-١٠).

والمقابلة عند شاعرنا في قوله:

وتعري إن لبســت لهــا ثيابــاً *** وتكســـي إن ملابســها خلعتــا[١]

المقابلة هنا بين تعري وتكسى ولبست وخلعتا.

وكذلك قوله:

وَضافي ثَوبِــكَ الإِحســانُ لا أَن *** تُرى ثَوبَ الإِساءَةِ قَــد لَبِســتا [٢]

المقابلة هنا بين ثوب الإحسان وثوب الإساءة.

أيضاً قوله:

وَتُفقَدُ إِن جَهِلــتَ وَأَنــتَ بــاقٍ *** وَتوجَدُ إِن عَلِمتَ وَقَــد فُقِــدتا [٣]

المقابلة هنا بين جهلت وعلمت، وتفقد وتوجد.

---

(١) الإلبيري، ديوانه، ص٢٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٢٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٧.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد.

تناول الباحث حياة الإلبيري وشعره في ثلاث فصول:

احتوى الفصل الأول على حياة الإلبيري وعصره في أربعة مباحث، المبحث الأول وجاء بعنوان حياته وفيه تحدثت عن ولادته، واسمه، ونسبه، ونشأته، ومشايخه، ومعاصريه، وثقافته، ومكانته الأدبية، والمبحث الثاني عصره وجاء تحت ثلاثة مطالب، المطلب الأول الحياة السياسية والثاني الحياة الأدبية والثالث الحياة الاجتماعية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الأغراض الشعرية وقسمت الفصل إلى أربعة مباحث، المبحث الأول جاء بعنوان الزهد، والمبحث الثاني بعنوان الوعظ والثالث فقد كان موضوعه الرثاء أما الرابع فجاء بعنوان أغراض أخرى، وتحته ثلاث مطالب الأول بعنوان المدح والثاني الهجاء والثالث الحكمة.

والفصل الثالث بعنوان الدراسة الفنية وفيه خمس مباحث المبحث الأول بناء القصيدة، والثاني اللغة والأسلوب، والثالث التجارب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند الإلبيري، والرابع الخيال والصورة الشعرية، والخامس موسيقى القصيدة.

النتائج:

أولاً: تميز شعر الإلبيري بأنه إسلامي بحت، بعيداً عن القومية والقبلية.

ثانياً: تميز أسلوب الشاعر بالوضوح والسهولة والمباشرة متأثراً بالرسالة التي كان يحملها وهي رسالة الدعوة والإرشاد وإصلاح المجتمع.

ثالثاً: تأثر الشاعر كثيراً بالقرآن والسنة والمتتبع لشـعره يلمـح ذلـك واضحاً وجلياً.

رابعاً: وتبين من خلال دراسة الحياة الأدبية في ذاك العصر أن المرأة الأندلسية كانت أكثر جرأة من أختها المشرقية في الكشف عن عواطفها تجاه الرجل كما كانت مشاركتها في الحياة الأدبية أوسع مجالاً.

التوصيات:

ومن التوصيات التي توصلت إليها أن هذا البحث قد فتح نافـذة علـى الرقي الأدبي والحضاري الذي اتصفت به الحياة الأدبية في الأندلس، وتلـك النهضة الشعرية للفقهاء والزهاد في تلك الفترة ويجدر بي أن أشير إلى بعض المقترحات التي استشفيتها من خلال بحثي هذا:

أولاً: مواصلة البحث حول الفقهاء والزُّهاد، والشعراء المغمورين وما ضاع من شعرهم، وذلك بعدما طُمست المعالم والحضارة الإسلامية.

ثانياً: إحياء التراث الأندلسي الوفير ومقارنته بين الماضي والحاضر.

ثالثاً: مواصلة البحث حول دور المرأة الأندلسـية الشـاعره وتـاريخ الشاعرات المغمورات.

الفهارس العامة

وتحتوي على:

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	الصفحة
	٢٢/ سورة الفرقان:		
١٠	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾.	٦٣	٩٣
	٢٢/ سورة الشعراء:		
١١	﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ * أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾.	٢٢٤- ٢٢٧	أ
	٢٩/ سورة العنكبوت:		
١٢	﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ...﴾.	٤٣	٤٧
١٣	﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ...﴾	٥٧	٥٧
١٤	﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞ...﴾.	٦٤	٤٢
	٣٠/ سورة الروم:		
١٥	﴿ ...وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ * يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...﴾.	٦-٧	١٢١
	٣١/ سورة لقمان:		
١٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا...﴾.	٣٣	٥١
	٣٥/ سورة فاطر:		
١٧	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾.	٢٩	٩٢
	٣٩/ سورة الزمر:		
١٨	﴿... قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ...﴾.	٩	٤٨

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٩	﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ ... ﴾.	٥٦	٩٣
	٤٩/ سورة الحجرات:		
٢٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ... ﴾.	١١	٦٨
	٥٣/ سورة النجم:		
٢١	﴿ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴾.	٦١	١١١
	٥٧/ سورة الحديد:		
٢٢	﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ... ﴾.	٣	١٢٠
٢٣	﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ... ﴾.	٢٣	٤٣
	٥٨/ سورة المجادلة:		
٢٤	﴿ ...يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ... ﴾.	١١	٤٧
	٥٩/ سورة التحريم:		
٢٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا... ﴾.	٨	٨٩
	٩٢/ سورة الليل:		
٢٦	﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ .	٥-١٠	١٢٢
	٩/ سورة القارعة:		
٢٧	﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ * وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾.	٦-٩	٩٣

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

٢١	أبو حفص: عمر بن خلف بن مكي الصقلي	٤
٢٢	الخليل: الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن	١١٣
٢٣	ابن خلدون: عبد الحمن بن محمد بن الحسن	١٣
٢٤	الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الشريد	١١٧
٢٥	ذو الإصبع العداوني: حرثان بن الحارث بن محرث	٤٦
٢٦	الرافعي: مصطفى صادق الرافعي	٣٠
٢٧	ابن رشيق:الحسن بن رشيق القيرواني	٢٦
٢٨	الرندي: صالح بن شريف الرندي	٦٢
٢٩	ابن الزبعري: أبو سعد عبد الله بن الزبعري	٧٩
٣٠	الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي	٢
٣١	ابن زنباع: أبو الحسن بن زنباع	٢٩
٣٢	الإمام الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم	٤٠
٣٣	ابن زيدون: أحمد بن عبد الله أحمد بن غالب	٤
٣٤	سيبويه: عمر بن عثمان	٣٩
٣٥	الإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس	٤٩
٣٦	ابن شهيد: أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي	٥
٣٧	شوقي: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي	١٠٧
٣٨	شوقي: شوقي ضيف	٨٢
٣٩	الشوكاني: أبو عبد الله محمد بن علي الشوكاني	٣٩
٤٠	الضبي:أحمد بن يحيي بن عميرة	١٠
٤١	ابن طباطبا: أحمد بن محمد بن إبراهيم العلوي	٨٢
٤٢	طرفه: طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد	٤٧
٤٣	أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني	٣٥

٤٤	ابن عربي: محمد بن علي	٩٩
٤٥	عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل بن هشام	٤٥
٤٦	الإمام الغزالي: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي	٤٠
٤٧	الغسال: عبد الله بن فرج بن غزلون	٥
٤٨	الفضيل بن عياض: ابن مسعود بن بشر التميمي	٥٤
٤٩	القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض	١٠
٥٠	ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم	٨٦
٥١	القشيري: عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري	٤٠
٥٢	كروتشه: كروتشه بنديتو	١٠٩
٥٣	الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة	٣٩
٥٤	ابن المبارك: أبو عبد الرحمن المرزوي	٤٠
٥٥	الملتمس: جرير بن عبد المسيح	٤٦
٥٦	محمد غنيمي: محمد غنيمي هلالي	١٠٤
٥٧	ابن مروان: عبد الملك بن إدريس الجزيري	٤٨
٥٨	المعتمد: محمد بن عبد الله بن عباد	٢٧
٥٩	المقري: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيي	٣٢
٦٠	نازك: نازك الملائكة شاعرة عراقية	٩١
٦١	الورّاق: محمود بن حسن الورّاق	٥٤
٦٢	ولادة: ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن	٣٣

فهرس الأشعار

صدر البيت		عجز البيت	الشاعر	الصفحة
[قافية الذال]				
يا مــن يرانــي مجرمــاً	**	ولا أراه آخـــــــــــــذاً	ابن عربي	٩٩
[قافية الراء]				
وَاِعلَم بِأَنَّ العِلمَ أَرفَعُ رُتبَةٍ	**	وَأَجَلُّ مُكتَسبٍ وَأَسنى مَفخَرِ	مروان ابن عبد الملك	٤٨
نُعمى مِنَ اللَهِ اِصطَفاهُ بِفَضلِها	**	وَاللَهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ وَيَقدُرُ	البحتري	٩٢
فَدَع ذا وَسَل الهَمَّ عَنكَ بِجِســرَةٍ	**	ذُمولٍ إِذا صامَ النَهارُ وَهَجَّرا	امرأ القيس	٧٨
لَزِمْتُ قَنَاعتِي وَقعَــدْتُ عَــنْهُمْ	**	فلستُ أَرَى الوزيرَ ولا الأميرَا	ابن الحداد	٨
[قافية الفاء]				
ثلاثون عاماً قد تولت كأنها	**	حلوم تقضت أو بروق خواطف	أحمد الاقليشي	٨
[قافية القاف]				
لتقرعنَّ عليَّ السنّ مــن نــدمٍ	**	إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقي	تأبط شرا	٨٠
سَهَري لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لــي	**	مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِ	الإمام الشافعي	٤٩
فَلا حَطَّت لَكَ الهَيجــاءُ سَــرجاً	**	وَلا ذاقَــت لَــكَ الــدُنيا فِراقــا	المتنبي	٨٠
[قافية الواو]				
رأيت آدم في نومي وقلت له	**	أبا البرية إن الناس قد حكموا	خلف ابن فرج الإلبيري	١٠٢
[قافية اللام]				
فَلَو أَنَّ ما أَسعى لِأَدنى مَعيشَةٍ	**	كَفاني وَلَم أَطلُب قَليلٌ مِنَ المالِ	أمرؤ القيس	٧٩
بَكَيــتُ لِقُــربِ الأَجَــلِ	**	وَبُعــدِ فَــواتِ الأَمَــلِ	الوراق	٥٤
قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ	**	بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ	أمرؤ القيس	٧٥
أَزوركَ أَم تزور فإنّ قلبي	**	إِلى ما تشتهي أبــداً يميــلُ	حفصه الركونية	٢٨
بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْــوَى شَــوْكَةُ الأُمَــمِ	**	فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ	البارودي	٥٠

[قافية الميم]				
وَقانا لفحــةَ الرمضـــاء واد	**	سقاه مضاعف الغيث العميمِ	حمدونه	٢٧
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبــه	**	ولم ينه قلباً غاوياً حيــث يممــا	عمرو بن العاص	٥٦
أبى الطل بـــالجزع أن يتكلمـــا	**	فمـــاذا عليـــه لواجـــاب متيمـــا	بشار ابن برد	٧٦
[قافية النون]				
لِكُلِّ شَيءٍ إِذا مـــا تَـــمّ نُقصـــانُ	**	فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَــيشِ إِنســـانُ	الرندي	٦٢
الروض مخضر الربى متجمـــل	**	**للنـــاظرين بأجمـــل الألـــوان**	الوزير عبد الله ابن سماك	٢٩
عف يؤس إذا ما خفت من بلد هوناً	**	فلســـت بوقـــاف علـــى الهـــون	ذو الأصبع العدواني	٤٦

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المرجع
١	إبراهيم أنيس (دكتور)، موسيقى الشعر، ط السادسة ١٩٨٨م، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة .
٢	إبراهيم علي أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة دار الفكر العربي، ط١٩٧٠م.
٣	إحسان عباس (دكتور)، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة بيروت – لبنان، ط١، ١٩٥٦م.
٤	إحسان عباس (دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين،ط٥، بيروت دار الثقافة ١٩٦٢م.
٥	إحسان عباس (دكتور)، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبه، دار الثقافة بيروت – لبنان، ط٥، ١٩٧٨م.
٦	أحمد أبو حاقة: فن المديح وتطوره في الشعر العربي، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٦٢م.
٧	أحمد هيكل (دكتور): الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط العاشرة ١٩٨٦م.
٨	امرئ القيس: ديوانه، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.
٩	إميليو غرسيه غومث: مع شعراء الأندلس والمتنبي، نقله إلى العربية دكتور الطاهر مكي، دار الفكر العربي، ٩٤ شارع عباس العقاد، مدينة نصر القاهرة، ط٧، ٢٠٠٤م.
١٠	ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٥٦م.
١١	ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا – بيوت، ط٥،

	١٩٩٥م.
١٢	ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، محمد محمـود الطانجي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ب ت.
١٣	ابن الأنباري: (أبو بكر محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)، تحقيق، عبد السـلام محمـد هـارون، دار المعـارف ١٩٦٣م.
١٤	البارودي: ديوانه، شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.
١٥	البحتري: ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه، حسن كامل الصـيرفي، دار المعارف، ١٩٦٣م.
١٦	ابن بسام: (أبو الحسن علي بن بسام)، الذخيرة فـي محاسـن أهـل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م.
١٧	البستي: قصيدة عنوان الحكم، ضبطها وعلق عليها، عبد الفتاح أبـو غده، لبنان– بيروت، ط ١٩٨٤م.
١٨	بشار بن برد: ديوانه، شرح حسين حموي، دار الجيل، بيـروت، ط ١٩٩٦م.
١٩	بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، ناشرون ساحة رياض الصلح، ط جديدة ١٩٨٧م.
٢٠	البيهقي: (أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنن الكبرى، تحقيق، محمـد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢٠٠٣م.
٢١	الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق، د. مصطفى محمد حسين الـذهبي، دار الحديث القاهرة، ط ١٩٩٩م.
٢٢	أبي تمام: ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق، محمد عبده عزام،

	طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٣	الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق، د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٩٨٣م.
٢٤	الجاحظ: الحيوان، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٦٩م.
٢٥	جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٩م، ط الثانية، ١٩٨٤م.
٢٦	الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦١م.
٢٧	الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ب ت.
٢٨	الجمعية المصرية لنشر الثقافة العالمية: الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس.
٢٩	جودة الركابي(دكتور): في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٥م.
٣٠	جورج غريب: الجاهلية فن وأدب وتاريخ،دار الثقافة بيروت، ط ١٩٦٨م.
٣١	الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط الثانية، ١٩٧٩م.
٣٢	ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر وتوزيع إدارة البحوث المملكة العربية السعودية، ب ت.

٣٣	ابن حزم: (أبو محمد علي بن سعيد)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.
٣٤	حسن خليفة: تاريخ العرب في أفريقيا والأندلس، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ط ١٩٣٨م.
٣٥	حسن عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٩٧٨م.
٣٦	الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم)، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق، إ.لافي برفنصال.
٣٧	ابن حنبل: (الإمام أحمد بن حنبل)، مسند أحمد بن حنبل، الناشرون دار سحنون ، ط٢، ب ت.
٣٨	ابن خاقان: (الفتح بن خاقان)، قلائد العيقان في محاسن الأعيان، قدّم له ووضع فهارسه، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ب ت.
٣٩	خفاجي: (د. محمد عبد المنعم)، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت، ب ت.
٤٠	خفاجي: (محمد عبد المنعم)، قصة الأدب في الأندلس، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ب ت.
٤١	ابن خلدون: المقدمة، حققها وضبط كلماتها، وشرحها، وعلق عليها، وعمل فهارسها، د. علي عبد الواحد وافي، ط٢، بيروت، لجنة البيان اللغوي، ١٩٦٨م .
٤٢	ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون المغربي)، تاريخ العلامة بن خلدون، منشورات الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.
٤٣	خير الدين الزِركلي: الأعلام دار العلم للملايين، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
٤٤	الدارمي: (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن)، سنن الدارمي، سلسة

	مطبوعات السنة النبوية، ط ١٩٦٦م.
٤٥	الدؤلي: (أبو الأسود)، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، فتحي عبد الفتاح، طبعة القاهرة، ١٩٨٠م.
٤٦	الرازي: (محمد ابن أبي بكر)، مختار الصحاح، عني بترتيبه، محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٧	الرافعي: الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، عبد الستار علي السطوحي، دار الاعتصام، ب ت.
٤٨	رجب محمد عبد الحليم(دكتور): العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة.
٤٩	ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان. ب ت.
٥٠	الزبيدي: (العلامة السيد محمد الحسيني)، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط دار الفكر، ب ت.
٥١	الزبيدي: (محي الدين أبي الفضل)، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، ب ت.
٥٢	الزمخشري: (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط ١٩٧٩م.
٥٣	الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ب ت.
٥٤	ابن الزملكاني: التبيان في علم البيان، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٤م.

٥٥	أبو زهرة: (محمد أبو زهرة)، الخطابة أصولها تاريخها في عصورها عند العرب، الطبع والنشر دار الفكر العربي.
٥٦	ابن زيدون، (أحمد عبد الله بن أحمد)، ديوانه، شرح وتحقيق، علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٧	سعد شلبي(دكتور): الأصول الفنية للشعر الجاهلي، القاهرة مكتبة غريب، ١٩٧٧م.
٥٨	السكري: شرح أشعار الهزليين، حققه عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة العروبة، ١٩٤٥م.
٥٩	سامي الدهان: المديح، دار المعارف بمصر، ب ت.
٦٠	سلمى سليمان (دكتور): المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف، المكتبة الثقافية الدينية، ط١، ٢٠٠٦م.
٦١	السيد أحمد الهامشي: جواهر البلاغة، علق عليه وحققه، سليمان الصالح، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٥م.
٦٢	الشافعي: (محمد بن إدريس)، ديوانه، تحقيق، محمد عفيفي الزغبي، ١٩٧٠م.
٦٣	شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ط٧، دار المعارف، الناشر دار المعارف ١١٩ كورنيش النيل القاهرة.
٦٤	الشوكاني: فتح القدير، ط٢، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٤م.
٦٥	صلاح جرار (دكتور): قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ٢٠٠٧م.
٦٦	صلاح خالص (دكتور): إشبيلية في القرن الخامس، دار الثقافة، بيروت – لبنان.
٦٧	الضبي: (المفضل بن محمد)، ديوان المفضليات، ط بيروت، كلية

	أكسفورد سنة ١٩٢٠م.
٦٨	الضبي: كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس.
٦٩	ابن طباطبا: (محمد بن أحمد)، عيار الشعر، تحقيق طـه الحـاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م.
٧٠	طرفه بن العبد: ديوانه، تحقيق، علـي الجنـدي، مكتبـة الأنجلـو المصرية، ١٩٦١م.
٧١	الطغرائي: ديوانه، علي جواد الطاهر،مكتبة النهضة، ط ١٩٦٣م.
٧٢	عاطف جودة نصر(دكتور): الخيال مفهومه ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
٧٣	ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق الشيخ علـي معوض والشيخ عادل أحمد، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط١، ١٩٩٥م.
٧٤	عبد الجليل عبده شلبي (دكتور): الخطابـة وإعـداد الخطيـب، دار الشروق، القاهرة ١٦ شارع جواد حسني، ط١، ١٩٨١م.
٧٥	عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأنـدلس، دار أسـامة للنشـر والتوزيع.
٧٦	ابن عبد ربه: (الفقيه أحمد بن محمد)، العقد الفريد، تحقيـق، محمـد سعيد العريان، دار الفكر، ب ت.
٧٧	عبد العزيز عتيق(دكتور): الأدب العربي في الأندلس، دار النهضـة العربية للطباعة والنشر، ط ١٩٧٦م.
٧٨	عبد الله أحمد باقازي (دكتور): حول الحكمة في الشعر العربي، مـن إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط ١٩٧٦.
٧٩	عبد الله الطيب (دكتور): بانات رامه، ط الخرطوم، الدار السـودانية

	للكتب، ١٩٧٠م.
٨٠	عبد الله الطيب (دكتــور): المرشــد، ط ٤، الخرطــوم،دار جامعــة الخرطوم للنشر، ١٩٩١م.
٨١	عبد الله بن عبد الرحمن المعملــي، معجــم مــؤلفي المخطوطــات الرياض، ١٩٩٦م.
٨٢	أبو العتاهية: ديوانه، دار صادر ١٩٦٤م.
٨٣	عز الدين إسماعيل (دكتور): الأدب وفنونــه دراســة ونقــد، ط٣، ١٩٦٩م.
٨٤	العسكري: (أبو هلال)، كتاب الصناعتين، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنــان، ط١، ١٩٨١م، و ط٢، ١٩٨٤م.
٨٥	العقاد: (عباس محمود)، اللغة الشاعرة، قضايا الفن والتعبير في اللغة العربية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.
٨٦	علي علي صبحي (دكتور): ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبــد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٨٧	عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، شــارع سوريا.
٨٨	الغزالي: إحياء علوم الدين، ط القاهرة دار إحياء الكتــب المصــرية العربية، ١٩٥٧م.
٨٩	الفارابي: إحصاء العلوم، حققه وقدم له، د. عثمان أمين، الناشــر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، ط ١٩٤٩م.
٩٠	فضل حسن (دكتور): البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر، ط١٠، ٢٠٠٥م.

٩١	الفيروز آبادي: القاموس المحيط، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٢م.
٩٢	القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
٩٣	ابن قتيبة، الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه، د. مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الضناوي، منشورات مكتبة محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.
٩٤	القشيري: (عبد الكريم بن هوازن)، الرسالة القشيرية، تحقيق، د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة.
٩٥	كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربية، د. عبد الحليم النجار، ط٢، دار المعارف مصر، ب ت.
٩٦	لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية، ط ٣٧،بيروت، ١٩٧٣م.
٩٧	ابن ماجه: سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه، محمود فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢، ١٩٩٢م.
٩٨	المبرد: (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، نشر مؤسسة المعارف، بيروت، ب ت.
٩٩	المتلمس الضبعي: ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٠٠	المتنبي: ديوانه، حققه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد.
١٠١	مجاهد مصطفى بهجت (دكتور): التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٢م.

١٠٢	مجمع اللغة العربية: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكـــريم، ط دار النشر الهيئة المصرية العامة.
١٠٣	مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصـــطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، جمهورية مصر العربية.
١٠٤	محمد رضوان الدايه (دكتور): في الأدب الأندلسي، دار الفكر دمشق، سوريا.
١٠٥	محمد زكي العشماوي (دكتور): قضايا النقــد الأدبـــي بـــين القـــديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
١٠٦	محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة، دار الكتـــاب العربـــي لطباعة والنشر، ط٢، ١٩٦٩م.
١٠٧	محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الشعب القاهرة، ب ت.
١٠٨	مصطفى الشعكة (دكتور): الأدب الأندلسي مصنوعاته وفنونـــه، دار العلم للملايين، ب ت.
١٠٩	مصطفى عليان (دكتور): تيارات النقد الأدبي فـــي الأنـــدلس، ط١، ١٩٨٤م.
١١٠	مصطفى عوض الكريم: الأدب الأندلسي في عصر المـــرابطين، ب ت.
١١١	المقري: (الشيخ أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصـــن الأنـــدلس الرطيب، دار صادر.
١١٢	ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، سنة ١٩٩٠م.
١١٣	أبي نعيم: (الحافظ أحمد بن عبد الله الأصـــبهاني)، حليـــة الأوليـــاء وطبقات الأصفياء، ط مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة، ١٩٣٧م.
١١٤	هشام أبو رميلة(دكتور): علاقات الموحـــدين بالممالـــك النصـــرانية

	والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان – الأردن.
١١٥	هناد بن السري: الزهد، تحقيق، محمد أبو الليث، ب ت.
١١٦	الهيثمي: (نور الدين علي بن أبي بكر)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢٠٠١م.
١١٧	يحيي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط١، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
١١٨	يوسف أبو العدوس(دكتور): مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط جديدة، ٢٠٠٧م.
	الدوريات:
١١٩	جرش للبحوث والدراسات: مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر عن جامعة جرش، العدد الأول، ١٩٩٦م.
١٢٠	الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة: نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨٧م.
١٢١	الدكتور نجاح العطار: المعرفة مجلة ثقافية شهرية، السنة الرابعة والثلاثون، العدد ٣٨٦، نوفمبر ١٩٩٥م.
	الرسائل:
١٢٢	هذا عبد الله الطيب شاعراً، عمر أحمد صديق أحمد.
١٢٣	الإمام البصيري حياته وشعره، فتحية عوض عبيد الله.

فهرس الموضوعات